

حقيقة
الختان
شرعياً وطبياً
مركز أبحاث ودراسات دار القراءة
دار
القراءة

حقيقة الختان

شرعيّاً وطبيّاً

إعداد
مركز الأبحاث والدراسات
بدار القراءة

دار القراءة - القاهرة



كتاب/ حقيقة الختان

تأليف/ مركز الأبحاث والدراسات بدار القراءة

رقم الإيداع	٢٠٠٨/٢٥٨٠

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧ م



إهداء

إلى كل امرأة مسلمة

حُقّ لك أن تفخري..

أنّك مُسلمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

حينما نتأمل في موضوع الختان ـ وخاصة ختان الإناث ـ نجد أن هذا الأمر قد احتل موضعًا هامًا في حياتنا على فتراتٍ متباعدة.

بصرف النظر عن حجم الاهتمام الذي يأخذه هذا الموضوع، وهل هو بالفعل يستحق كل هذه الضجة أم لا، وبصرف النظر أيضًا عن ظاهرة «الإيماض والاختفاء» التي تحيط بهذا الموضوع الذي تارة نرى وميض الاهتمام به يكاد يعمي الأعين، وتارة أخرى يختفي هذا الاهتمام إلى حيث لا نعلم.

وبصرف النظر عن هذا كله؛ فإننا نواجه حينما نستمع أو نقرأ أو نتابع ما يثار حول هذا الموضوع..

نواجه تناقضًا شديدًا، وتباينًا عجيبًا، يمضي بنا من مرحلة الدهشة مرورًا بعدم التصديق إلى أن نصل إلى تلك الحيرة العجيبة.

إن كل مَن يتابع هذا الموضوع لابد وأن يصاب بتلك الحيرة عندما يستمع إلى شيخ معمم فاضل فيراه يُفتي بأن الختان للإناث «سنة ومكرمة» ثم إذا به يستمع إلى آخر لا يختلف عنه في هيئته ووضعه يقول وبكل تأكيد «إن ختان الإناث حرام.. حرام.. حرام».

ثم ما يلبث أن يفاجأ بطبيبٍ ثقةٍ ماهرٍ يقول إنّ للختان فوائد للمرأة، صحية ونفسية، حتى يأتيه طبيبٌ آخر لا يقل عنه مهارة يؤكد بشكل قاطع أن الختان جريمة في حق المرأة، وانتهاكٌ جسدي ونفسيٌّ لها!!

ثم تستمر سلسلة المفاجآت عندما نجد «المركز القومي لحقوق المرأة» وهو يجاهد مجاهدة مريرة لوقف ختان الإناث، مراعاةً ودفاعًا عن حقوق المرأة. ثم نقرأ استبيانًا يؤكد أن ٩٧٪ من نساء مصر مختونات، وأن ٨٠٪ من النساء يؤيدن الختان!!

إذن عن أي امرأة يدافع المجلس الموقر؟!

ما سر هذا التناقض؟!

ونحن لا نلوم كل رجلٍ أو امرأةٍ حاوَل أن يصل إلى الحق في هذه القضية فأصابته هذه الحيرة، واعتراه هذا الشعور، فلقد أُصبنا به ونحن في غمار هذا البحث، إذ أننا وعندما قررنا البحث في هذا الأمر كنا ننطلق من قاعدة أساسية لا يختلف عليها اثنان:

قاعدة تقول: إن أحد مقاصد الشريعة الإسلامية «حفظ البدن»، ويكفي أن نعلم أن «حفظ البدن» يُعَد خُمْس مقاصد شريعة الإسلام، لأن مقاصد الشريعة في الإسلام خمسة:

١ - حفظ الدين.

٢ - حفظ العرض.

٣ - حفظ البدن.

٤ - حفظ المال.

٥ - حفظ النسل.

بل إننا إذا أردنا التخصيص، وبحثنا عن مقاصد الشريعة الإسلامية في الطب لوجدنا أن أول مقاصد الشريعة في الطب هي حفظ النفس، ذلك أن مقاصد الشريعة في الطب يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

أولاً: الحفاظ على النفس والبدن والأعضاء، باعتبارها من الضروريات:

إن أهم مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء في الطب تكمن في أن الحفاظ على البدن: أعضائه وأجزائه وأجهزته وصحته، وإبعاده عن المهلكات والمضرات، من الضروريات التي يجب الحفاظ عليها، فلا يجوز التصرف في البدن، ولا الاعتداء عليه ولا على روحه ونفسه إلا بإذن الله الخالق الحكيم الذي خلقه بيده ونفخ فيه من روحه.

ثانيًا: دفع الأضرار، وكل ما هو ضرر أو خبيث:

وكذلك يعتبر من أهم مقاصد الشريعة دفع الأضرار والخبائث، والمضرات، ومنع الأسباب المؤدية إلى المرض، وسد الوسائل الموصلة إلى الضعف، ولذلك أحل له الطيبات وأمر بها، وحرّم عليه الخبائث ونهاه عنها، فقال تعالى في وصف الرسول ﷺ في التوراة والإنجيل: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾[1].

وقد ورد عن الرسول الكريم ﷺ تحريم كل ما هو ضرر وأذى ومفسدة، فقال ﷺ: **«لا ضرر ولا ضرار»**[2].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) الحديث رواه مالك في «الموطأ»، والشافعي في «مسنده» (١/ ٣٢٤)، وأحمد (١/ ٣١٣، م/ ٣٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٦)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه =

بل جعل الإسلام ميزان الحرام على أساس الضرر والمفسدة والإثم، فقال تعالى في بيان أسباب حرمة الخمر والميسر ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾[1].

وقد أصبح الحديث السابق مبدءًا عظيمًا من مبادئ الإسلام، وقاعدة كلية عامة من قواعد الشريعة، يقول السيوطي في شرح القاعدة العامة: (الضرر يزال): أصلها: قوله ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**».. اعلم أن هذه القاعدة يبنى عليها كثير من أبواب الفقه، وتتعلق بها قواعد، وهي: «الضرورات تبيح المحذورات».. و«أن الضرورات تقدر بقدرها»، و«الضرر لا يزال بالضرر»، و«الحاجة تنزل منزلة الضرورة، عامة كانت، أو خاصة»[2].

والإسلام بما أنه دين من عند الله الحكيم الخبير المطلع على حاجيات الإنسان بكل أجزائه وأجهزته، وبما أن الله هو الخالق للإنسان، وهو الذي شرّع للإنسان، لذلك شرّع له كل ما يخصه ويفيده في دينه ودنياه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[3]، وأنه جعل تشريعاته في مختلف مجالات الإنسان محققة للتوازن المطلوب حتى يكون قادرًا على تحقيق رسالته التي كلفه الله تعالى بها، وهي: الاستخلاف في الأرض وتعميرها على ضوء منهج الله تعالى.

= الذهبي، ورواه البيهقي في «السنن» (٦/ ٦٩)، والدارقطني (٢/ ٧٧)، ويراجع: «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٠٤)، و«مصابيح الزجاجة» للكتاني (٣/ ٤٨).

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٩.

(٢) «الأشباه والنظائر» للسيوطي، ط. دار الكتاب العربي ببيروت، ١٤٠٧هـ (ص١٧٣ ـ ١٨١) بتصرف.

(٣) سورة الملك: الآية ١٤.

ثالثًا: الحفاظ على الصحة، والأمر بالتداوي:

وكذلك يعتبر من مقاصد الشريعة التداوي والعلاج للحفاظ على استمرارية الصحة والعافية والقدرة على العمل والإنتاج وأداء الشعائر وتعمير الأرض.

ولتحقيق هذا المقصد الشرعي أمر الله ﷻ بالتداوي، فقد روَى أحمد والحاكم وأبو داود وابن ماجه، بسندهم عن أسامة بن شريك قال: كنت عند النبي ﷺ وجاء الأعراب فقالوا: يا رسول الله: أنتداوى؟ فقال: «**نعم، يا عباد الله تداووا، فإن الله ﷻ لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً غير داء واحد**»، قالوا: ما هو؟ قال: «**الهِرم**»[1].

كما أن الإسلام يدعو إلى أن يكون المؤمن قويًا في بدنه، وجسده، وفي عقيدته وروحه، فقال الرسول ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»[2].

كما قضى الإسلام على كل الخرافات المتعلقة بالأمراض والشفاء من علاقاتها بالجن والشياطين والأرواح الشريرة، فأسند المرض والشفاء كله إلى الله تعالى، فكما جعل للمرض أسبابه،كذلك جعل للشفاء أسبابه، فقال

---

(١) مسند أحمد (٤/ ٢٧٨)، والحديث رقم (١٨٣٦٦)، والترمذي وصححه، الحديث (٢٠٣٩)، و«المستدرك» للحاكم (١/ ٢٠٨)، (٤/ ٤٢٢، ٤٢٢، ٤٥٦) وصححه، وابن حبان وجوده في «صحيحه»، كتاب: الطب (١٣/ ٤٢٦)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٤/ ٢، ٣٦٨)، (٩/ ٣٤٣)، و«سنن أبي داود»، الحديث رقم (٣٨٥٥)، وابن ماجة، الحديث رقم (٣٤٣٦)، ويراجع: «الأحاديث المختارة» بتحقيق عبدالملك دهيش، مكة المكرمة ١٤١٠هـ (٤/ ١٦٩)، و«الاستذكار» (٨/ ٤١٤)، و«المحلى» (٤/ ١٧٦)، و«تهذيب الآثار» (١/ ٤٩٩)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٥/ ٣١).

(٢) «صحيح مسلم»، كتاب: القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز.. ٤/ ٢٠٥٢ (٢٦٦٤).

تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1]، وقال تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[2].

فكما أن الجوع لا يُزال إلا بسبب الأكل، والشبع لا يتحقق إلا بسببه، فكذلك المرض والشفاء، فالكل بيد الله تعالى، لكنه تعالى جرت سننه بأن جعل لكل شيء سببًا، ولذلك حرّم الإسلام الطيرة والتشاؤم والتمائم التي تعلق في الأعناق، أو السواعد، والعرافة والكهانة، والذهاب إلى العرّافين والدجالين[3].

وفي مقابل ذلك أمر بالتداوي حسب ما يذكره أهل الطب، واعتبار ذلك من قدر الله تعالى[4].

رابعًا: تمكين الإنسان من تحقيق رسالة الاستخلاف:

كما هو معلوم فإن رسالة الإنسان هي تحقيق الخلافة وتعمير الأرض على ضوء منهج الله تعالى، وهذا لا يتحقق إلا بأن يكون الإنسان سليمًا صحيحًا قويًّا قادرًا على التمكين، والعمل والتفكير، وذلك يتطلب العناية بالصحة والسلامة، والعلاج من الأمراض.

والمقصود من ذلك: أن مقاصد الشريعة في استخلاف الإنسان تقتضي العلاج والتداوي حتّى يتمكن الإنسان من أداء رسالته في هذه الأرض.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥١.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٧٩ ـ ٨١.

(٣) يراجع: «الحلال والحرام» لفضيلة الشيخ القرضاوي.

(٤) يراجع: «موارد الظمآن» (١/ ٣٣٩).

هنا يتضح لنا:

أنه من المستحيل أن يكون الإسلام قد أمر بأمرٍ فيه هلاك للنَّفْس أو للبدن أو فيه تعدٍ عليهما، أو ضرر بهما. وانطلاقًا من هذه القاعدة الثابتة الراسخة، نتمكن من حل هذا الإشكال..

كيف يكون الختان جريمة في حق المرأة، وتعدٍّ على جسدها، والإسلام أمر به وحضّ عليه؟

إن الجواب لن يخرج عن ثلاثة احتمالات:

١) أنّ ختان الإناث ليس من شريعة الإسلام، وأنه غير مطلوب بأي وجه من أوجه الطلب سواء الوجوب أو الاستحباب.

٢) أنّ الختان الذي يسبب هذه الأضرار لا يمت بصلة إلى الختان الذي أمر به الإسلام.

٣) أنّ هناك من يحاول تشويه الإسلام بإلصاق هذه التهم الرهيبة به، وجعله راعيًا للقسوة وانتهاك حق المرأة.

وحتى نستطيع الإجابة الصحيحة عن هذا الإشكال فإننا نمضي سويًا على صفحات هذا البحث، علّنا نصل إلى الحقيقة.. وتزول عنّا الحيرة.

***

الباب الأول

الختان في شريعة الإسلام

- نبذة عن تاريخ الختان.
- الختان في السنة النبوية.
- حكم الختان عند علماء الأمة.
- فتاوى وردود عن الختان.

نبذة عن تاريخ الختان..

تشير المصادر التاريخية إلى أن بعض الأقوام القديمة قد عرفت الختان، وفي إنجيل برنابا إشارة إلى أن آدم عليه السلام كان أول مَن اختتن وأنه فعله بعد توبته من أكل الشجرة، ولعل ذريته تركوا سنته حتّى أمر الله سبحانه نبيّه إبراهيم عليه السلام بإحيائها.

وقد وُجدت ألواح طينية ترجع إلى الحضارتين البابلية والسومرية [٣٥٠٠ق.م] ذكرت تفاصيل عن عملية الختان، كما وجدت لوحة في قبر توت عنخ آمون [٢٢٠٠ ق.م] تصف عملية الختان عند الفراعنة، وتشير إلى أنَّهُم طبقوا مرهمًا مخدرًا على الحشفة قبل الشروع في إجرائها، وأنهم كانوا يجرون الختان لغرض صحي.

واهتم اليهود بالختان، واعتبر التلمود مَن لم يختتن من الوثنيين الأشرار، فقد جاء في سفر التثنية: «اختتنوا للرب وانزعوا غرل قلوبكم يا رجال يهوذا وسكان أورشليم».

أما في النصرانية فالأصل فيها الختان، وتشير نصوص من إنجيل برنابا إلى أن المسيح قد اختتن، وأنه أمر أتباعه بالختان، لكن النصارى لا يختتنون.

أما العرب في جاهليتهم فقد كانوا يختتنون اتباعًا لسنة أبيهم إبراهيم.

وذكر القرطبي[1] إجماع العلماء على أن إبراهيم عليه السلام أوّل من اختتن. فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كان إبراهيم أول**

(١) «الجامع لأحكام القرآن».. الإمام القرطبي.

من اختتن، وأول من رأى الشيب، وأول من قص شاربه، وأول من استحدّ»[١].

***

(١) أخرجه مالك في «الموطأ»، والبخاري في «الأدب المفرد»، والبيهقي في «الشّعب».

الختان في السنة النبوية..

وردت عدة أحاديث عن النبي ﷺ في الختان.. بعضها عامٌ، وبعضها يخص ختان الرِّجَال، وبعضها يخص ختان الإناث.

أما ما جاء عامًّا في الختان:

فهو ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**خمس من الفطرة: الختان والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظافر وقصّ الشارب**»[(١)].

فأوضح أن الختان من سنن الفطرة.

والفطرة على قول مَن قال: هي السُّنَّة ـ أي الطريقة ـ «طريقة الإسلام»، فهي من شعائره وخصائصه. قال تعالى: ﴿ **فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا** ﴾[(٢)]. وقال تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴾[(٣)]، وكان من ملة إبراهيم عليه السلام الختان. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم**»[(٤)].

وفي الباب أحاديث أخرى فيها مقال نوردها هنا مع كلام العلماء عليها:

- ورد في الحديث قوله ﷺ لرجل أسلم: «**ألقِ عنك شعر الكُفْر واختَتِنْ**»[(٥)].

---

(١) «صحيح مسلم» (١/ ٢٢١)، كتاب: الطهارة، باب: خصال الفطرة.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٣.

(٤) «البخاري»: كتاب: الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾، حديث (٣١٧٨).

(٥) «سنن أبي داود» (ج، ص٨٩)، برقم (٣٥٦). وقال الحافظ: وفيه انقطاع، وعثيم وأبوه =

- وجاء في الختان أيضًا قوله ﷺ: «**إذا التقى الختانان وجب الغُسل**»(١). وفيه دليل على أن النساء كُن يختتن، وعليه فإن ما جاء في أي من الأحاديث عن الختان من غير تفصيل يشمل الرَّجُل والمرأة جميعًا.

- وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال: سُئل ابن عباس رضي الله عنه، مثل من أنت حين قُبض النبي ﷺ؟ قال: أنا يومئذ مختون، قال: وكانوا لا يختنون الرَّجُل حتّى يُدرك»(٢).

- وجاء في حديث أم عطية رضي الله عنها وكانت تختن البنات، فقال لها رسول الله ﷺ: «**اخفِضي ولا تُنْهِكي**(٣) **فإنه أنضر للوجه وأحظى عند الزوج**»(٤). وفي بعض روايات الحديث لفظ (أشمي) بدل (اخفضي)(٥). وهذا أصرح الأحاديث الدالة على مشروعية ـ بل واستحباب ـ الختان للنساء.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «**الختان سنة للرِّجَال، مكرمة للنساء**». رواه البيهقي رحمه الله، وضعف المرفوع(٦).

= مجهولان «تلخيص الحبير» (٤/ ١٥٣)، وحسنه الألباني بشواهده، وانظر «الإرواء» (١/ ١٢٠)، و«سنن أبي داود» بتحقيق مشهور برقم (٣٥٦).

(١) «صحيح ابن حبان»، كتاب: الطهارة، ذكر إيجاب الاغتسال من الإكسال (ج٣، ص٤٥٦) برقم (١١٨١)، وصححه الألباني «صحيح الجامع» رقم (٣٨٥). وأخرجه مسلم بلفظ: «**إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان فقد وجب الغسل**» مسلم، كتاب: الحيض، باب: نسخ الماء من الماء، رقم (٥٢٦).

(٢) «صحيح البخاري» (ج ٥، ص٢٣٢٠).

(٣) أو (تَنهَكي) بفتح التاء والهاء.

(٤) الحاكم (ج٣، ص٦٠٣)، برقم (٦٢٣٦)، وصححه الألباني «صحيح الجامع» برقم (٢٣٦).

(٥) انظر «عون المعبود» (١٤/ ١٢٣) ـ دار الكتب العلمية.

(٦) «سنن البيهقي»: كتاب: الأشربة، باب: السلطان يكره على الاختتان (ج٨، ص٣٢٤)، =

- روى ابن المنذر رحمه الله عن أبي برزة رضي الله عنه قال: سألنا رسول الله ﷺ عن رجل أقلف يحج بيت الله، قال: «**لا، حتّى يختتن**»[1]. وضعفه ابن المنذر رحمه الله وغيره.

وإذا تأملنا هذه الأحاديث وجدناها قسمين:

• **القسم الأول:** صحيح ولكنه غير صريح في الأمر بختان النساء والحضّ عليه.

• **القسم الثاني:** أحاديث فيها خلاف بين أهل العلم، وهي صريحة في إثبات مشروعية الختان للنساء..

ولكن:

قال العلماء: إن أحاديث سنن الفطرة التي ذكرت الختان ـ وهي من الأحاديث الصحيحة ـ لا معنى لحملها على الرِّجَال دون النساء، لأن الأصل في الحكم العموم، وكذا الأمر باتباع ملة إبراهيم، ومن ملته الختان. وبعض العلماء أوجب الختان على المرأة بهذا الدليل، كما استدلوا بحديث مس الختان الختان[2].

والآن..

نعرض لأقوال الفقهاء في حكم الختان للرِّجَال والنساء، وأقوالهم لم

= وضعفه الحافظ في «تلخيص الحبير»، فقال: «رواه أحمد والبيهقي من حديث الحجاج بن أرطأة، عن أبي المليح بن أسامة، عن أبيه به، والحجاج مدلس وقد اضطرب فيه..، وقال البيهقي: «هو ضعيف منقطع»، «تلخيص الحبير» (٤/ ١٥٣) ـ طبعة مؤسسة قرطبة.

(١) انظر «تلخيص الحبير» (٤/ ١٥٣)، والحديث ضعيف ولكن كان عليه العمل إلى عهد قريب. انظر «الختان للبار» (ص٥٠).

(٢) «ختان البنات.. بين الفقه والطب».. حاتم الحاج.

تخرج عن ثلاثة أحكام كما جاء في الموسوعة الفقهية[1]، نلخصها هنا مع ذكر نقولات من كتب علماء كل مذهب..

***

(١) «الموسوعة الفقهية» (١٩/ ٢٨ - ٢٩) - وزارة الأوقاف الكويتية.

حكم الختان في أقوال أئمة المذاهب

وللعلماء في حكم الختان بالنسبة للرجل والمرأة ثلاثة أقوال:

• **القول الأول: أنه واجب على الرِّجَال والنساء.**

وهو قول الشافعية والحنابلة، ومقتضى قول سحنون من المالكية.

قال النووي رحمه الله في «المجموع»: «الختان واجب على الرِّجَال والنساء عندنا وبه قال كثيرون من السلف، كذا حكاه الخطابي، وممن أوجبه أحمد».

إلى أن قال: «والمذهب الصحيح المشهور الذي نص عليه الشافعي رحمه الله وقطع به الجمهور أنه واجب على الرِّجَال والنساء»[١].

وجاء في «أسنى المطالب» [والكلام قبله على ختان الرِّجَال والنساء جميعًا]: «والختان واجب، وإنما يجب بالبلوغ والعقل واحتمال الختان[٢] لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[٣] وكان من ملته الختان، ففي الصحيحين: «أنه اختتن وعمره ثمانون عامًا»، وفي صحيح ابن حبان والحاكم: «مائة وعشرون سنة»، وقيل: «سبعون سنة»، ولأنه ﷺ أمر بالختان رجلًا أسلم. رواه أبو داوود»[٤].

وقال في شرح «منتهى الإرادات»: «ويجب ختان ذكر بأخذ جلدة الحشفة» إلى أن قال: «ويجب ختان الأنثى بأخذ جلدة فوق محل الإيلاج تشبه عرف الديك»[٥].

---

(١) «المجموع» (١/ ٣٥٠) مطبعة المنيرية.

(٢) أي: تحمله.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٣.

(٤) «أسنى المطالب» (٤/ ١٦٥) ـ دار الكتاب الإسلامي.

(٥) «شرح منتهى الإرادات» (١/ ٤٤).

وجاء في «كشاف القناع»: «ويجب ختان ذكر وأنثى»، إلى أن قال: «وفي قول النبي ﷺ: «**إذا التقى الختانان وجب الغسل**» دليل على أن النساء كُن يختتن، ولأن هناك فضلة[١] فوجب إزالتها كالرجل»[٢].

• القول الثاني: أنه واجب على الرِّجَال، مكرمة في حق النِّسَاء:

وهو الذي نقله ابن قدامة في «المغني» حين قال: «فأما الختان فواجب على الرِّجَال، ومكرمة في حق النِّسَاء وليس بواجب عليهنّ»[٣].

• القول الثالث: أنه سُنة في حق الرِّجَال، ومكرمة في حق النِّسَاء:

وهو أحد روايتين عن الإمام أحمد، وهو قول الأحناف والمالكية، فيرون أن الختان مسنون للرِّجَال ومستحب أو مكرمة للنِّسَاء، وهو ما دون السنّة.

قال الزيلعي رحمه الله: «والأصل أن الختان سُنة لما جاء في الخبر، وهو من شعائر الإسلام وخصائصه حتّى لو اجتمع أهل مصر[٤] أو قرية على تركه يحاربهم الإمام فلا يترك إلا لضرورة..

وختان المرأة ليس بسُنة وإنما هو مكرمة للرِّجَال لأنه ألذ في الجماع، وقيل سُنّة»[٥].

وجاء في شرح مختصر خليل للخرشيّ رحمه الله (المتن): وحكمه [أي

---

(١) أي: زيادة.
(٢) «كشاف القناع» (٨/ ٨٠).
(٣) «المغني» (١/ ١٠٢).
(٤) مصر: أي بلد.
(٥) «تنبيه الحقائق شرح كنز الدقائق» (٦/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) ـ دار الكتاب الإسلامي.

الختان] السنيّة في الذكور وهو قطع الجلدة الساترة، والاستحباب[١] في النِّسَاء ويسمى الخفاض[٢]».

*****

(١) وهو عندهم دون السنة.

(٢) «شرح مختصر خليل» للخرشيّ (٣/ ٤٩) - دار الفكر.

وبعد استعراضنا لأقوال الفقهاء في حكم الختان للرِّجَال والنِّسَاء نعرض إلى بعض الفتاوى المتعلقة [بختان الإناث] خاصة، والتي جاءت ردًا على السؤال الذي سبب الحيرة لكثير من عوام المسلمين..

هل ختان الإناث مشروع في الإسلام؟!

• قال الشيخ/ علام نصار. مفتي الديار المصرية سابقًا:

سبق لدار الإفتاء أن أجابت على مثل هذا السؤال بفتوى مسجلة بدار الإفتاء برقم ٢٨٠/ ٦٣ بتاريخ ١١ سبتمبر ١٩٥٠م ونصها: «أن ختان الإناث من شعائر الإسلام، وردت به السنة النبوية واتفقت كلمة المسلمين وأئمتهم على مشروعيته ومع اختلافهم في كونه واجبًا أو سنة فإننا نختار للفتوى القول بسنيته لترجيح سنده وتوضيح وجهته».

• قال الشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق - شيخ الأزهر سابقًا:

«لما كان ذلك؛ كان المستفاد من النصوص الشرعية، ومن أقوال الفقهاء على النحو المبين والثابت في كتب السنة والفقه أن الختان للرِّجَال والنِّسَاء من صفات الفطرة التي دعا إليها الإسلام وحث على الالتزام بها على ما يشير إليه تعليم رسول الله كيفية الختان، وتعبيره في بعض الروايات بالخفض، مما يدل على القدر المطلوب في ختانهنّ.

قال الإمام البيضاوي[1]: إن حديث «**خمس من الفطرة..**» عام في ختان الذكر والأنثى، وقال الشوكاني في «نيل الأوطار»: إن تفسير الفطرة بالسنة لا يراد به السنة الاصطلاحية المقابلة للفرض والواجب والمندوب، وإنما يراد بها الطريق، أي طريقة الإسلام، لأن لفظ السنة في لسان الشارع أعم من السنة في اصطلاح الأصوليين.

---

(١) «نيل الأوطار» للشوكاني (ج١، ص١١٣).

ومن هنا اتفقت كلمة فقهاء المذاهب على أن الختان للرِّجَال والنِّسَاء من فطرة الإسلام وشعائره، وأنه أمر محمود، ولم ينقل عن أحد من فقهاء المسلمين فيما طالعنا من كتبهم التي بين أيدينا ـ القول بمنع الختان للرجال أو النِّسَاء، أو عدم جوازه أو إضراره بالأنثى، إذا هو تم على الوجه الذي علمه الرسول ﷺ لأم حبيبة في الرواية المنقولة آنفًا.

أما الاختلاف في وصف حكمه، بين واجب وسنة ومكرمة، فيكاد يكون اختلافًا في الاصطلاح الذي يندرج تحته الحكم.

يشير إلى هذا ما نُقل في فقه الإمام أبو حنيفة[١]: من أنه لو اجتمع أهل مصر على ترك الختان، قاتلهم الإمام (ولي الأمر) لأنه من شعائر الإسلام وخصائصه.

كما يشير إليه أيضًا أن مصدر تشريع الختان هو اتباع ملة إبراهيم، وقد اختتن، وكان الختان من شريعته، ثم عدّه الرسول ﷺ من خصال الفطرة، وأميل إلى تفسيرها بما فسرها به الشوكاني ـ حسبما سبق ـ بأنها السنة التي هي طريقة الإسلام ومن شعائره وخصائصه، وكما جاء في فقه الحنفيين.

وإذن قد استبان مما تقدم أن ختان البنات ـ المسئول عنه ـ من فطرة الإسلام وطريقته على الوجه الذي بينه رسول الله ﷺ، فإنه لا يصح أن يترك توجيهه وتعليمه إلى قول غيره ولو كان طبيبًا، لأن الطب علم والعلم متطور، تتحرك نظرته ونظرياته دائمًا، ولذلك نجد أن قول الأطباء في هذا الأمر مختلف». اهـ كلام الشيخ جاد الحق رحمه الله.

---

(١) «الاختيار شرح المختار» للموصلي (ج٢، ص١٢١).

• فتوى الشيخ القرضاوي:

أرسل أحد القراء برسالة تتعلق باستفسار حول ما أثير مؤخرًا في وسائل الإعلام المختلفة حول قضية الختان، حيث جاء سؤاله على النحو التالي: هل أصبح ختان الإناث حرامًا، بمعنى أن مَن يختن بناته يكون آثمًا؟ هل هذا هو رأي الشرع؟ وهل هذا هو رأي فضيلة الشيخ القرضاوي؟

وقد أجاب فضيلته بقوله:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

إن الذي يقرأ أقوال الفقهاء في ذلك، داخل المذاهب وخارجها، يتبيّن له: أنه لا يوجد بينها اتفاق على حكم محدد بالنسبة لخفاض الأنثى أو ختانها. فهناك مَن قال بالوجوب. وهناك مَن قال بالاستحباب. وهناك مَن قال بأنه سنّة للرِّجَال مكرُمة للنِّسَاء. فلا إجماع في المسألة إذن.

ولكن يمكن أن نخرج من هذا الخلاف بإجماع الكلّ على الجواز. إذ الجواز دون الاستحباب، ودون الوجوب، أعني أن مَن يقول بالوجوب أو بالاستحباب لا ينفي الجواز. والقول بأنه «مكرمة» قريب من الجواز، لأن معنى المكرُمة: أنه أمر كريم مستحسن عُرفًا. فمَن قال به قال بالجواز.

والخلاصة: أن أحدًا من الفقهاء لم يقُل إنه حرام أو مكروه تحريمًا أو تنزيهًا. وهذا يدلّ على المشروعية والجواز في الجملة عند الجميع.

وأن هذا الإجماع الضمني من الفقهاء من جميع المذاهب والمدارس الفقهية وخارجها: دليل على أن مَن فعل هذا الختان، على ما جاء به الحديث (الذي حسّنه قوم وضعّفه آخرون) الذي نصح الخاتنة بالإشمام

وعدم النّهك والإسراف: لا جناح عليه، ولم يقترف عملًا محرمًا. فلا ينبغي إذن التشنيع على كلّ مَن قام بختان بناته (أو خفاضهن) على الوجه الذي جاء به الحديث، ولا يجوز تسمية ذلك بأنه (جريمة وحشية) تُرتكب في القرن الحادي والعشرين! إلا ما كان منها متجاوزًا للحدود الشرعية المتفق عليها، وهي تتمثل في ثلاثة أشياء:

الأول: تجاوز الإشمام إلى النهك ـ أي الاستئصال والمبالغة في القطع ـ التي تحرم المرأة من لذة مشروعة بغير مبرر، وهو ما يتمثل فيما يسمونه (الخفاض الفرعوني).

الثاني: أن يباشر هذا الختان الجاهلات من القابلات وأمثالهن، وإنما يجب أن يقوم بذلك الطبيبات المختصات الثقات، فإن عُدمن قام بذلك الطبيب المسلم الثقة عند الضرورة، وذلك أن النبي ﷺ قال: «**إن الله كتب الإحسان ـ** أي الإتقان ـ **على كل شيء**» ومباشرة الجاهلات ليس من الإحسان في شيء.

الثالث: أن لا تكون الأدوات المستخدمة معقمة وسليمة، وملائمة للعملية المطلوبة، وأن لا يكون المكان ملائمًا كالعيادات والمستشفيات والمراكز الصحية. فلا يجوز استخدام الأدوات البدائية، وبطريقة بدائية، وفي أمكنة غير مهيّأة لذلك، كما يحدث في الأرياف ونحوها، لما يترتب على ذلك من أضرار يحظرها الشرع.

فإذا روعيت هذه الأمور الثلاثة: لم نستطع أن نَصِفَ ختان الإناث بأنه حرام، ولا بأنه جريمة وحشية، ولاسيما إذا اقتضته حاجة قرّرها الطبيب المختص الذي يُرجع إليه في مثل هذا الأمر[١]. والله أعلم.

---

(١) موقع «الملتقى» على الشبكة الدولية.

الباب الثاني

حد ختان الإناث في الإسلام

- مقدمة طبية عن الأعضاء التناسلية.
- تعريف منظمة الصحة العالمية لختان الإناث.
- حد الختان في الإسلام.
- دراسة علمية غير دقيقة.
- أوقفوا هذا الختان !

قبل أن نبدأ:

بعد أن تعرفنا على مشروعية ختان الإناث في الإسلام، واستعرضنا أقوال العلماء والفقهاء، نصل إلى واحد من أهم أجزاء هذا البحث؛ ألا وهو «حد الختان» في الإسلام.

و«حد الختان» معناه:

كيفية الختان ومقدار الجزء المقطوع في الختان كما حددها علماء المسلمين من فهمهم لحديث رسول الله ﷺ..

ولكننا ـ وقبل أن نبدأ ـ وحتى لا يتعسر على القارئ فهم بعض المصطلحات العَربيَّة التي قد ترد في كلام فقهائنا ـ ناهيك عن أسماء الأعضاء ـ لابد لنا من هذه المقدمة الطبية عن تشريح الجهاز التناسلي للمرأة، وما يقابل كل جزء فيه عند الرَّجُل.

مقدمة طبية عن الأعضاء التناسلية:

أما التكوين، فإن هذه الأعضاء أصلها واحد في الأجنّة، لا فرق بين ذكر وأنثى حتّى نهاية الأسبوع السابع[1]، وجاءت الحقيقة العلمية موافقة لحديث رسول الله ﷺ في هذا الشأن، حيث قال: «**إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكًا فصوّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رَبّ أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا رَبّ أجله؟ فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا رَبّ رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم**

---

(١) للمزيد راجع «خلق الإنسان بين الطب والقرآن» للدكتور محمد علي البار، ص (٢٨٣ – ٢٩٢) الدار السعودية.

يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على أمر ولا ينقص»[١].

ثم تبدأ هذه الأعضاء في التمايز في اتجاه الذكر أو الأنثى بناءً على الجنس الصبغي Chromosomal (الكروموسومي) والهرموني.

وأصل الأعضاء برعم صغير فوق شق، ويتحول البرعم إلى قضيب في حال الرَّجُل أو بظر Clitoris في حال المرأة، والشق يبقى في حال البنت، ويتكون على جانبيه الشفران الكبيران Labia Majora، أو يلتصق جانباه ليكون كيس الصفن Scrotum في حال الولد. ثم تهبط الخصيتان إلى الكيس بينما يبقى المبيضان داخل الحوض.

ومن الناحية التشريحية، فإن القضيب يقابل البظر [وهو الذي قد يشير إليه علماء الفقه بالنواة وذلك لأن شكله كالنواة أو كنصف كرة]. والبظر ليس جلدة فحسب، بل يتكون من نفس الأنسجة التي يتكون منها القضيب. والقلفة التي على حشفة القضيب Foreskin ـ والتي تزال في ختان الذكور ـ تقابلها قلفة Clitoral hood كذلك على البظر، يشير إليها علماء الفقه بالجلدة المستعلية أو الجلدة التي كعرف الديك.

ومن الناحية الوظيفية فإن القضيب والبظر كلاهما أعضاء انتصاب من أنسجة متكهفة Cavernous وهي أعضاء اللذة عند الجماع. وكذلك فإن القلفة التي على حشفة الذكر وتلك التي على البظر يتقابلان وظيفيًا فلا تكاد تعرف لهما فائدة وإنما تتراكم تحتهما إفرازات اللخن Smegma الضارة[٢].

---

(١) «صحيح مسلم» (ج٤، ص٢٠٣٧) من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري.

(٢) from the online encyclopedia wikipedia

لعله قد اتضح أن ما يقابل قلفة ذكر الرَّجُل ليس بظر المرأة وإنما قلفة بظرها.

قلفة البظر : Clitoral hood

«هي عبارة عن جلدة تبدأ من الفاصل الموجود بين رأس وجسم البظر، مكونة من سطحين وبطانة بينهما. الجزء الأعلى جلد عادي، والجزء الذي يواجه البظر غشاء زهامي يفرز مادة زهامية من غدد تايسون، والمادة الزهامية عندما تتجمع تسمى [اللخن Smegma].

ويكون اللخن مجالاً غنيًا جدًّا لتكاثر البكتريا والفطريات والفيروسات مما يؤدي إلى حدوث التهابات والتصاقات وحكة وروائح مزعجة.

كما أن حجم القلفة وطولها متفاوت بشكل ملحوظ من امرأة لأخرى، وليس هناك أي رابط أو علاقة تشريحية بين القلفة والشفرين الصغيرين وهي تطابق القلفة عند الذكور تمامًا»[(١)].

***

(١) «ختان الإناث الشرعي» رؤية طبية. د. ست البنات خالد محمد علي.

أنواع ختان الإناث كما حددتها منظمة الصحة العالمية:

أجرت منظمة الصحة العالمية دراسة عن آثار ختان البنات،وهي التي قامت فيها برصد للأضرار التي تصيب البنات من جراء الختان، وسوف نناقش هذه الدراسة لاحقًا، ولكن نقتطع منها أولاً هذا الجزء الخاص بتعريفهم للختان، قالوا:

«ملاحظة: يشمل تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية، الذي كثيرًا ما يشار إليه بمصطلح (ختان الإناث)؛ جميع الممارسات التي تنطوي على إزالة الأعضاء التناسلية الأنثوية الخارجية بشكل جزئي أو تام، أو إلحاق إصابات أخرى بتلك الأعضاء إما بدواعٍ ثقافية أو دينية أو دواعٍ لا تستهدف العلاج. وتمارس حاليًا أنواع مختلفة من ذلك التشويه منها ما يلي:

• **النوع الأول**: استئصال القلفة، مع استئصال البظر بشكل جزئي أو تام أو دون ذلك.

• **النوع الثاني**: استئصال البظر، مع استئصال الشفرين الصغيرين بشكل جزئي أو تام.

• **النوع الثالث**: استئصال الأعضاء التناسلية الخارجية بشكل جزئي أو تام، مع غرز/ تضييق الفوهة المهبلية (الختان التخييطي)[1]».

إن هذه الدراسة التي قامت بها منظمة الصحة العالمية حول ختان الإناث، والتي يعتمد عليها غالبًا كل من يهاجمون ختان الإناث اعتمدت

---

(١) من موقع منظمة الصحة العالمية على الشبكة.
http://www.who.int/mediacentre/news/releases/٢٠٠٦/pr٣٠/ar/print.html

التصنيف الذي ذكرناه لأنواع الختان أساسًا للدراسة وقبل أن نناقش هذه الدراسة بالتفصيل، نلفت الأنظار سريعًا إلى حد الختان الشرعي كما حدده علماء الفقه.

* * *



حد الختان في شريعة الإسلام:

وقع الاختلاف بين العلماء على حد الختان:

- فمنهم من قال بأنه قطع جزء من البظر.

- وذهب آخرون ـ وهم الأكثر ـ أن البظر يُترك على حاله كما يفهم ذلك من كلامهم.

• **قال الإمام السيوطي في «أسنى المطالب»:**

«(فصل) (لابد من كشف جميع الحشفة في الختان) للرجل بقطع الجلدة التي تغطيها، فلا يكفي قطع بعضها ويقال لتلك الجلدة القلفة (و) من (قطع شيء من بظر المرأة) (الخفاض) أي اللحمة التي في أعلى الفرج فوق مخرج البول تشبه عرف الديك، وتقليله أفضل. روى أبو داود وغيره أنه ﷺ قال للخاتنة: «**لا تنهكي، فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب للبعل**»[1].

وليس في كلام السيوطي رحمه الله برهان من تدليل أو تعليل على أن البظر ينبغي قطع شيء منه، وليس البظر هو الذي يشبه عرف الديك بل قلفته.

• **ولقد قال النووي رحمه الله في «المجموع»:**

«الواجب في المرأة قطع ما ينطلق عليه الاسم من الجلدة التي كعرف الديك فوق مخرج البول، وصرّح بذلك أصحابنا واتفقوا عليه. قالوا: ويستحب أن يقتصر في المرأة على شيء يسير ولا يبالغ في القطع»[2].

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٣).

(٢) «المجموع» (١/ ٣٥٠).

فلم يذكر البظر واستعمل لفظ الجلدة وهو الأدق والمناسب لوصف القلفة.

• ولقد زاد الأمر إيضاحًا الشيخ الأنصاري ﷺ حيث قال في «الغرر البهية»:

«الختان (للأنثى) باسم القطع بمعنى مسماه كما عبر به الحاوي أي: بما يسمى قطعًا من اللحمة بأعلى الفرج فوق مخرج البول تشبه عرف الديك، وإذا قطعت بقي أصلها كالنواة»[1]. والنواة التي تبقى إذا قطعت الجلدة التي كعرف الديك هي البظر الذي لا يقطع منه شيء.

• وجاء في شرح مختصر خليل للخرشي (المتن):

«وحكمه ـ أي الختان ـ السنية في الذكور وهو قطع الجلدة الساترة، والاستحباب في النِّسَاء ويسمى الخفاض وهو قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج ولا ينهك لخبر أم عطية: «**اخفضي ولا تنهكي فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج**» أي لا تبالغي، وأسرى أي أشرق للونه، وأحظى أي ألذ عند الجماع لأن الجلدة تشتد مع الذكر مع كمالها فتقوي الشهوة لذلك، وإذا لم تكن كذلك فالأمر بالعكس»[2].

• وذكر ابن القيم ﷺ أقوالاً لأهل العلم في حد الختان في «تحفة المودود»، فقال:

«وقال ابن الصباغ في الشامل الواجب على الرَّجُل أن يقطع الجلدة التي على الحشفة حتّى تنكشف جميعها وأما المرأة فلها عذرتان إحداهما

---

(١) «الغرر البهية في شرح البهجة الوردية» (١/ ١١٢) – المطبعة المينية.

(٢) «مختصر خليل» للخرشي (٣/ ٤٩).

بكارتها والأخرى هي التي يجب قطعها وهي كعرف الديك في أعلى الفرج بين الشفرين، وإذا قطعت يبقى أصلها كالنواة..

• **وقال الجويني:** القدر المستحق من النِّسَاء ما ينطلق عليه الاسم. قال في الحديث ما يدل على الأمر بالإقلال، قال: «أشمي ولا تنهكي» أي اتركي الموضع أشم، والأشم المرتفع..

• **وقال الماوردي:** وأما خفض المرأة فهو قطع جلدة في الفرج فوق مدخل الذكر ومخرج البول على أصل كالنواة، ويؤخذ منه الجلدة المستعلية دون أصلها»[١].

وهذا كلام نفيس من فقهائنا رحمهم الله، وفيه التفريق بين الجلدة المقطوعة وأصلها المتروك الذي يشبه النواة، فإن علمت أن الجلدة المشار إليها هي قلفة المرأة وهي توازي قلفة الرَّجُل[٢]، وأن النواة هي البظر، وأنه يقابل الذكر عند الرَّجُل، وأنه يترك كله لا يقطع منه شيء؛ زال العجب وارتفع كل إشكال. فإن الختان من سنن الفطرة ومن تمام الطهارة. وهذه الجلدة تجتمع تحتها إفرازات ضارة مثل تلك التي تجتمع تحت قلفة الرَّجُل ولكنها دونها[٣]. وهذه الإفرازات تسمى [اللخن Smegma]، وقد ثبت ضررها في الرِّجَال[٤]، والنواة أو البظر هو العضو المسئول عن الشهوة، وهو لا يقطع منه شيء، فيكون القطع لتحصيل الطهارة في المقام الأول،

---

(١) «تحفة المودود» (١/ ١٩١ – ١٩٢) دار البيان. دمشق.

(٢) http://en.wikipedia.org/wiki/clitoris

(٣) فناسب أن يكون التأكيد على ختان الرِّجَال أكثر في الإسلام، فسبحان الذي لا يعزب عن علمه شيء.

(٤) راجع أيضًا «الختان» للدكتور/ محمد علي البار، ص(٧٥-١٠٢) دار المنارة – جدة.

وإن كانت له فوائد أخرى مترتبة على تحصيلها ـ سنتحدث عنها لاحقًا ـ ويكون ترك البظر للحفاظ على الشهوة واللذة عند الجماع.

• الخلاصة:

١- أن الذي أمر به الإسلام في ختان النِّسَاء هو إزالة القلفة التي توجد فوق البظر.

٢- أن قطع أي جزء من البظر ليس مما أمر به الإسلام.

٣- أن تعريف منظمة الصحة العالمية لختان الإناث لا يدخل فيه الختان الشرعي بأي حالٍ من الأحوال.

• مع العلم أنه في عام ١٩٧٩م أصدرت منظمة الصحة العالمية كتاب «العادات التي تؤثر على صحة النِّسَاء والأطفال» جاء فيه: [**إن الخفاض الأصلي للإناث هو استئصال لقلفة البظر وشبيه بختان الذكور ويعرف بالسنة.. وهذا النوع لم تذكر له أي آثار ضارة على الصحة**][(١)].

والآن.. عودة إلى الدراسة؛

***

(١) «ختان البنات».. رؤية طبية للدكتوره/ ست البنات خالد محمد علي.



دراسة علمية غير دقيقة[١]:

لابد أولاً أن نعرف أن الدراسات الموافقة للمعايير العلمية الدقيقة شحيحة في هذا الموضوع، وهذا ليس ادعاءً مني، بل نقلاً عن منظمة الصحة العالمية، حيث جاء في موقعها الإلكتروني ـ في معرض الكلام عن هذه الدراسة التي زعموا أنَّها وافية عن الآثار السلبية لختان البنات ـ ما يلي:

[وقالت جوي فومافي ـ المدير العام المساعد لشئون صحة الأسرة والمجتمع بمنظمة الصحة العالمية: «لقد وفّرت لنا هذه الدراسة **لأول مرة** بيانات تثبت أن النِّسَاء اللائي تعرضن لتشويه في أعضائهن التناسلية أكثر عرضة بكثير للمضاعفات والمشاكل الخطرة التي تحدث أثناء الولادة. إنّ تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية من الممارسات الراسخة في الثقافات والتقاليد، غير أنّه لا بد من وضع حد لها. فيجب علينا تقديم الدعم اللازم إلى المجتمعات المحلية لمساعدتها في الجهود التي تبذلها من أجل التخلّي عن تلك الممارسة وتحسين خدمات الرعاية المقدمة للنساء اللائي تعرّضن لها. كما يجب علينا الثبات في مقاومة الظاهرة المتمثّلة في إضفاء الطابع الطبي على تلك الممارسة. فالكل يعلم أنّ منظمة الصحة العالمية تعارض كلياً إجراءها من قبل عاملي القطاع الطبي][٢].

لاحظ عبارة لأول مرة، ولقد جاء المزيد من التفصيل[٣] على الصفحة

---

(١) هذا الجزء منقول مع بعض التصرف من بحث «ختان البنات بين الفقه والطب» لحاتم الحاج.

(٢) من موقع منظمة الصحة العالمية على الشبكة:

http://www.who.int/mediacentre/news/releases/٢٠٠٦/pr٣٠/ar/ print.html

(٣) Previous smaller studies have suggested that adverse obstetric =

الإنجليزية[١] يوضح ضعف الدراسات السابقة.

وكذلك جاء في نفس الصفحة: «وقال الأستاذ سعد الفضيل، المشرف على الدراسة في السودان، إنّ هذه النتائج تكتسي أهمية كبيرة بالنسبة للبلدان. فقد أُجريت هذه الدراسة الجيدة في مستشفيات عديدة في بلدان أفريقية تنتشر فيها ظاهرة تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية، وبالتالي فهي تقيم الدليل، **لأوّل مرّة**، على ما ينجم عن تلك الممارسة من آثار ضارّة بالنسبة للنساء والأطفال»[٢].

لاحظ تكرار لأول مرة.

ونحن الآن في حاجة إلى التعرف على هذه الدراسة الكبيرة (الوافية) التي تثبت (بالبينات) «**لأول مرة**» المضاعفات السلبية لختان البنات في مرحلة الولادة.

---

outcomes such as episiotomy,[٢] tears,[٣–٥] protracted labour,[٢،٥] = post-partum haemorrhage,[٣،٥] and low Apgar score[٢،٥] might be more common in deliveries in women who have had FGM.[٣،٥] However, reliable data about the effect of different types of FGM on specific obstetric outcomes are scarce, since previous studies have inconsistent findings,[٣،٤] rarely account for potential confounding factors,[٢،٥] do not investigate the effects of different types of FGM,[٢،٣،٥] and have been based on self-reported obstetric complications.[٣،٤] Previous studies also had insufficient power to examine important outcomes such as stillbirth and early neonatal death.

(١) http://www.who.int/reproductive-health/fgm

(٢) من موقع منظمة الصحة العالمية على الشبكة:
http://www.who.int/mediacentre/news/releases/٢٠٠٦/pr٣٠/ar/print.html

لقد درسوا مضاعفات الختان في مرحلة الولادة بعد تقسيمهم النساء إلى أربع عينات:

١) غير المختونات

٢) نساء تعرضن إلى استئصال القلفة، مع استئصال البظر بشكل جزئي أو تام أو دون ذلك.

٣) نساء تعرضن إلى استئصال البظر، مع استئصال الشفرين الصغيرين بشكل جزئي أو تام.

٤) نساء تعرضن إلى استئصال الأعضاء التناسلية الخارجية بشكل جزئي أو تام، مع غرز/ تضييق الفوهة المهبلية (الختان التخييطي)

وبعد ذلك رصدوا الأضرار المشاهدة في العينات المختلفة، ومن الجدير بالذكر أن العينة الثانية كانت نسبة الأضرار فيها أكثر بقليل من العينة الأولى. وكانت الأضرار الأخطر والأكثر في العينتين الثالثة والرابعة.

والآن أستدعي عقول الباحثين للنظر في هذا العيب ـ الذي أود ألا يكون متعمدًا ـ وهو خلط ثلاثة أنواع من الممارسات من غير تمييز بينها وهي:

١ – استئصال القلفة Prepucectomy.

٢– استئصال القلفة، مع استئصال البظر بشكل جزئي.

٣– استئصال القلفة، مع استئصال البظر بشكل تام.

إن الحاجة والأمانة العلمية كانت تدعو على الأقل إلى الفصل بين ١ من جهة و٢ و٣ من جهة أخرى، وذلك للفرق الكبير بين القلفة والبظر،

وإن كان الأولى الفصل بين الثلاثة لتكون نتائج كل قسم مستقلة وواضحة.

إنه من العجيب أن يدخلوا قطع القلفة في بداية الدراسة مع بقية أنواع ما سموه بالنوع الأول من تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية، والعجب ليس فقط لما ذكرت من الفرق التشريحي والوظيفي بين القلفة والبظر، ولكن أيضاً لأن المنظمة ذاتها ـ كما تقدم ـ **كانت من قبل تقر بأن قطع القلفة ليس له أضرار!**

إنهم بهذا الخلط أفسدوا مصداقية الدراسة بالكلية في تحديد أضرار قطع القلفة دون البظر وحتى مع قطع جزء من البظر، إذ قد يعترض على ذلك بأن الأضرار المشاهدة في العينة الثانية ـ والتي لم تكن في الأصل كثيرة ـ كانت جميعها بسبب وجود تلك الشريحة من النساء اللاتي تعرضن للاستئصال الكامل للبظر، والذي لم يقل به أحد من علماء المسلمين، فضلاً عن أن يكون الرأي الراجح.

ومن ثم، وبناءً على شهادتهم أن هذه الدراسة هي الأولى والرائدة في إثبات مضاعفات الختان، أخلص إلى الآتي:

- ليست هناك دراسات موافقة للمعايير العلمية تثبت ضرر قطع القلفة دون البظر، بل وحتى مع قطع جزء من البظر.
- هذه الدراسة إضافة مهمة على بداية الطريق لإثبات أضرار قطع البظر فما فوق ذلك.
- ينبغي عمل دراسات تفرق بين الممارسات المختلفة وتتناول قطع القلفة دون غيرها.
- ينبغي عمل دراسات تتحرى الفوائد المحتملة لقطع القلفة.

أوقفوا هذا الختان !!

خلصنا من مناقشتنا للدراسة السابقة إلى أنَّها ـ وإن كانت غير موافقة للمعايير العلمية حتّى تثبت إن كان قطع القلفة دون البظر ضارًا أم لا، إلا أن هذه الدراسة تُعد إضافة هامة لإثبات أضرار قطع البظر فما فوق ذلك.

وبما أن الإسلام جعل من مقاصده في الطب حفظ البدن بجميع أعضائه وأجزائه وأجهزته، وإبعاده عن المهلكات والمضرات ـ كما ناقشنا ذلك في مقدمة البحث ـ فلقد خصصت هذا الفصل للتحدث عن «عادة الختان الجائر».. وأسميتها «عادة» لأنَّها لا تمُتّ إلى شعائر الإسلام كما أوضحنا، ولا علاقة لها بالختان الشرعي.

وليس معنى أننا ندافع عن الختان الذي شرعه الإسلام أن نغض الطرف عن الممارسات الخاطئة التي تحدث باسم الختان.

إن أي ختان يحدث فيه قطع لأي جزء زائد عن قلفة البظر يُعد ختانًا غير شرعي، ويؤدي إلى أضرار عديدة، وأسوأ أنواعه هو ما اصطلحوا على تسميته بـ «الختان الفرعوني».

يقول الدكتور/ محمد محمد الحفناوي ـ أخصائي النِّسَاء والتوليد بمستشفى دمياط التخصصي بمصر:

الختان الفرعوني الكامل:

«في الطهارة الفرعونية لا شيء يعلو فوق سطح المعركة».

«الطهارة الفرعونية»: هي نوع من التطرف في ختان الإناث تمارس في جنوب صعيد مصر، وفي السودان. وفيها يتم استئصال كل ما يعلو

سطح الجلد في منطقة فرج الأنثى وحول فتحة المهبل من بظر وشفرتين كبيرتين وصغيرتين وخياطة المنطقة طوليًا إلا فتحة صغيرة تسمح بخروج دم الحيض والبول.

أضراره:

- أضرار فورية: (نزيف ـ التهابات ـ تلوث ـ ألم ـ متاعب بولية).
- أضرار بعيدة: اضطرابات نفسية وجنسية.

أولاً: المضاعفات المباشرة:

١) الألم حيث إن هذه العملية تجرى بدون استعمال مخدر في اغلب الأحوال فإن الطفلة تتعرض لألم عنيف مفاجئ قد يستمر لعدة أيام ثم يقل بعد ذلك.

٢) النزف ويعتبر من أخطر المضاعفات التي تحدث نتيجة لإجراء هذه العملية وهو إما نزف بسيط يمكن التحكم فيه بالوسائل التقليدية الغير طبية التي تمهد لحدوث الالتهابات مثل استعمال تراب الفرن أو مسحوق البن أو كما يحدث في بعض الأحوال حيث تستعمل بعض الأعشاب القابضة مثل (القرض) بما فيها من أتربة وتلوث وفي بعض الأحيان يكون النزف شديدا نتيجة لقطع شريان كبير أثناء الختان ويستدعى نقل الحالة إلى المستشفى وإجراء جراحة عاجلة وقد تحتاج الطفلة إلى نقل دم بما له من خطورة كذلك فان بعض الحالات التي تعانى من أمراض الدم قد لا تكتشف إلا نتيجة لحدوث النزف وقت الختان وفي الحالات التي تفشل فيها المحاولات الغير طبية التي يقوم بها القائم بالعملية أو الأسرة لوقف النزيف يعود ويتكرر مرات أخرى ويسمى هذا

النزف نزفًا ثانويًا ويكون علاجه أصعب وخطورته أشد.

٣) حدوث الصدمة نتيجة لشدة الألم أو نتيجة للنزف.

٤) حدوث التهابات نتيجة للتلوث حيث إن العملية تتم بدون تنظيف للمنطقة المعنية أو تعقيم للآلات المستعملة وكذا عدم تطهير يدي من يجرى العملية والمكان التى تجرى فيه مما يتسبب عنه حدوث التهابات موضعية تؤدى إلى تأخر التئام الجرح وقد يمتد الالتهاب إلى الجهاز التناسلي الداخلي أي إلى المهبل والرحم والبوقين أو قد يمتد إلي الجهاز البولي كالمثانة والكليتين وقد يكون هذا الالتهاب صديديًا أو نتيجة للإصابة بميكروب التيتانوس خاصة في المناطق الريفية والشعبية.

٥) اضطرابات البول وتحدث هذه الاضطرابات في صورة انحباس البول نتيجة للخوف من الألم[1] وكذلك الحرقان أثناء التبول نتيجة لإصابة فتحة البول (الصماخ البولي) أو قناة مجرى البول أثناء عملية الختان خاصة إذا كان القائم بالعملية ليس على دراية بالتشريح الطبيعي للأجزاء التناسلية الخارجية وينتج عن ذلك إما احتباس في البول أو سلس في البول أو تبول لا إرادي في بعض الأحيان.

٦) التشويه الظاهري حيث يلتئم الجرح بنسيج ليفي محدثا تشوها بالمكان وقد تحدث ندب مؤلمة نتيجة لحدوث الالتهابات وفي بعض الأحول يحدث التشويه نتيجة لعدم إزالة أجزاء متساوية من على جانبي المنطقة أو نتيجة ترك زوائد جلدية تنمو وتتدلى بعد ذلك مما يستدعى تكرار إجراء العملية في وقت قريب أو يستدعى إعادتها ومن آن لآخر

(١) لأن هذه العملية تتم بدون تخدير.

نجد أن بعض الأورام تظهر في مكان الطهارة في منطقة البظر نتيجة لدخول خلايا الجلد في المناطق تحت الجلد أثناء التئام الجرح وهذه الأورام تشوه المكان وتأخذ في الكبر ويزداد حجمها مع الوقت وتستدعى جراحة لإزالتها.

٧) الآثار النفسية للختان وتبدأ من الشعور بالرعب والخوف عندما تقع الفتاة تحت قبضة من يوصلها للقائم بالعملية لتجرى عليها كذلك الشعور بالألم الذي لا يطاق أثناء إجراء العملية بسبب عدم استعمال مخدر ويتبعه الإحساس بالذل والانطواء والخجل مما حدث لها في هذه المنطقة الحساسة وأيضا الرغبة في الانتقام من أهلها الذين خانوها وقد يتمثل هذا في حدوث التبول الليلي في الفراش أو عدم تقبل التوجيهات والنصائح .

٨) الوفيات وقد تكون في مثل هذه الحالات نتيجة أجراء هذه العملية ولا يمكن تقدير عدد الوفيات التي تنتج عن هذه العملية حيث إن عددا قليلا للغاية من هذه الحالات هي التي تصل إلى المستشفى وغالبًا لا تسجل كمضاعفات للختان خوفا من المسائلة القانونية حرصًا على القائم بالعملية أو على ولى الأمر .

ثانيًا: المضاعفات بعيدة المدى:

١) الألم مع الدورة الطمثية (عسر الطمث) قد يكون نتيجة لارتباط نزول الدم من الفرج بالآلام التي حدثت في الماضي مع عملية الختان وقد يكون سببها عضويًا نتيجة لحدوث الالتهاب المزمن والاحتقان في الحوض .

٢) مما لا شك فيه أن ختان البنات بهذه الطريقة البشعة؛ يعتبر نوعًا

من الانتهاك والتشويه لأعضاء تناسلية لها وظائفها ومثال ذلك حدوث الالتصاقات بين الشفرين فإن ذلك يؤدى إلى صعوبة الاتصال الجنسي أو الفحص المهبلي وكذلك صعوبة عند الولادة .

٣) استطالة وصعوبة الولادة خصوصًا في المرحلة الثانية من مراحل الولادة وسبب ذلك أن الفرج قد يفقد مطاطيته نتيجة لالتئام جرح الختان بنسيج ليفي وإذا لم يتمدد الفرج في الوقت المناسب فأنة قد يؤدى إلى حدوث تمزق في منطقة العجان وقد يمتد إلى عضلة الشرج فلا تستطيع السيدة التحكم في التبرز (تمزق عفوي خلفي) وقد تؤدى استطالة الولادة إلى حدوث تمزق في الأنسجة المحيطة بفتحة البول (تمزق عفوي أمامي) مع نزف شديد خصوصًا إذا كان القائم بالولادة ليست لدية الخبرة الكافية لمواجهة مثل هذه الحالات وهذه التمزقات الخلفية والأمامية تحتاج لتدخل جراحي فوري لإصلاحها حتى لا تعانى الوالدة من النزف وتقيح الجروح وقد يؤدى عسر الولادة كذلك إلى ارتخاء العضلات الرافعة للعجان أو تمزقها مما ينتج عنه سقوط مهبلي أو مهبلي مثانى .

٤) وقد تؤدى الولادة المتعسرة إلى وفاة الجنين أثناء الولادة أو إلى ولادة طفل متخلف عقليا نتيجة للضغط الزائد على الرأس بسبب طول مدة الولادة أو بسبب التدخل لاستخراج الجنين الذي تعسر ولادته بالآلات وجميع المضاعفات السابق ذكرها تحدث بصورة أوضح في حالات الطهارة الفرعونية.

٥) مما لا شك فيه أن تعرض الأنثى لعملية الختان بطريقة لا إنسانية مصحوبة بآلام شديدة في أعضائها التناسلية له مضاعفات خطيرة على هذا الجهاز ووظائفه ومن هذه المضاعفات تكرار حدوث الصدمة النفسية مرة

أخرى في ليلة الزفاف حيث يصعب فض البكارة في بعض الحالات نتيجة للخوف الشديد من الاقتراب من هذه المنطقة وفي حالات أخرى يؤدى فض البكارة إلى حدوث نزيف شديد سببه التئام الجرح بنسيج ليفي مما يستدعى نقل العروس إلى المستشفى لإجراء جراحة عاجلة لعلاج التمزق .

٦) وخلال فترة الزواج الأولى تعانى بعض السيدات من ألم عند الجماع نتيجة لضيق المهبل الذي يؤدى إلى فشل عملية الإيلاج كذلك فإن وجود ندب أو التصاقات مؤلمة في هذه المنطقة هو أحد العوامل المساعدة التي تؤدى إلى رفض الجنس أو ممارسة الجماع في أماكن غير طبيعية .

٧) ومما لا شك فيه أن التبلد الجنسي بصوره المختلفة من ضعف التجاوب الجنسي أو عدم حدوث الشبق هو النتيجة الحتمية لاستئصال أجزاء هامة لها دور رئيسي وفعال أثناء اللقاء الجنسي مثل البظر والشفريين الصغيرين ونتيجة لذلك تعانى الزوجة من مشاكل عديدة مثل حدوث احتقان في الحوض وظهور الإفرازات المهبلية إلى جانب التوتر العصبي والنفسي الذي يؤدى إلى البرود الجنسي فلا بد من توجيه التثقيف الصحي الكافي للأزواج والزوجات للتغلب على هذه المشكلة وتعريفهم بالمناطق البديلة للإثارة وذلك عن طريقة التربية الجنسية والتربية الأسرية وبالنسبة للجيل القادم يكون التغلب على هذه المضاعفات بالإقلاع عن هذه الممارسة الضارة. اهـ كلام الدكتور محمد الحفناوي.

* * *

• يقول الشيخ/ الأمين الحاج محمد:

«الختان الفرعوني ليس من السنة، ويكفيه قبحًا وسوءًا اسمه، وكل المضار التي يحتج بها الأطباء ويرفعونها دعوى حظر ختان الأنثى هي ناتجة من الختان الفرعوني، وليس من الختان السُّني.. فعلى الأطباء الذين يتصدون ذلك أن يتقوا الله في أنفسهم أولاً، وأن يتصفوا بالعلمية والموضوعية، وأن لا يخلطوا بين الختان الفرعوني المذموم، وبين ختان السنة الذي أوجبه الشارع[1]، وليعلموا أنَّهُم سيقفون وسيُسألون عن كل ذلك..

• جاء في فتوى مجمع الفقه السوداني[2]:

«إن الختان المسمى بالفرعوني والذي يتم فيه إيذاء الأنثى بقطع أعضائها أو جزء منها لا يجوز إجراء جراحته، ولا تسليم الأنثى لَمن يفعل بها ذلك، لأنه شرّ كبير، وضرره متفق وليس فيه مصلحة البتّة».

• ويقول الدكتور/ محمد علي البار ـ معلقًا على ما قاله الماوردي[3] في كيفية الختان السنّي:

«هذا هو الختان الذي أمر به المصطفى ﷺ، وأما ما يتم في مناطق كثيرة من العالم ومنه بعض بلاد المسلمين مثل الصومال والسودان وأرياف مصر؛ من أخذ البظر بأكمله، أو أخذ ذلك كله مع أخذ الشفرين الكبيرين، فهو مخالف للسنّة، ويؤدي إلى مضاعفات كثيرة، وهو الختان

---

(١) يرى الشيخ أن ختان الإناث واجب.

(٢) فتوى رقم (١٠/ د/ ٢/ ٥٢٦).

(٣) ذكرناه في الجزء الخاص بـ «**حد الختان في الإسلام**» (ص٢٨).

المعروف باسم الختان الفرعوني وهو على وصفه لا علاقة له بالختان الذي أمر به النبي ﷺ». اهـ.

***

الباب الثالث

الختان.. لماذا؟

- حكمة مشروعية الختان.
- ختان الذكور.. رؤية طبية.
- ختان الإناث.. لماذا؟
- الشهوة..
- الفوائد الطبية لختان البنات

حكمة مشروعية الختان..

كثيرًا ما اعتدنا عند قراءتنا في كتب أئمتنا الفقهاء أن نجد في أغلب أبواب الكتاب ما يسمى بـ «حكمة المشروعية».

فلقد كان فقهاؤنا على دراية تامة أن الله تعالى ما شرع مِن أمرٍ أو نهيٍ إلا وله حكمة، تلك الحكمة التي ربما تظهر لنا، أو ربما تختفي فترة ثم نكتشفها بعد أن نصل إلى درجة معينة من العلم.

وإظهار الحكمة «من الأمر أو النهي» أو إخفاؤها إنما يكون لحكمة أخرى يعلمها الله ﷻ، فسبحان مَّن لا يحيط بعلمه شيء.. يعلم كل شيء، ولا يخفَى عليه شيء.

ولو نظرنا أيضًا إلى موقف الفقهاء من العبادات أو الأوامر التي لم يتسن لهم حسب ما فهموه أن يدركوا حكمة مشروعيتها، لوجدناه موقفًا غاية في الروعة، ألا وهو قولهم: «**وهو أمر تعبّديّ، فوجب الالتزام به**» أو ما يشابه ذلك..

تقول الدكتورة / ست البنات خالد محمد علي ـ استشاري أمراض النِّسَاء والتوليد بجامعة الخرطوم ـ وهي تتحدث عن جراحة الختان عند الإناث: «وهي بالنسبة لنا في عالمنا الإسلامي تعتبر قبل كل شيء امتثالاً للشرع لما فيها من إصابة الفطرة والاهتداء بالسنة التي حضت على فعلها دون فرق بين الرِّجَال والنِّسَاء، وكلنا يعرف أبعاد شرعنا الحنيف وأن كل ما شُرع لنا لابد أن يكون فيه الخير من جميع النواحي ومن بينها الناحية الصحيّة، وإن لم تظهر فائدته في الحال فسوف تُعرف في الأيام القادمة، كما حدث بالنسبة لختان الذكور وعَرف العالم بأجمعه فوائده وصار شائعًا في

جميع الأمم بالرغم من معارضة بعض الطوائف له»[١].

وقبل أن نتحدث عن حكمة مشروعية ختان الإناث، وما قاله فقهاؤنا رحمهم الله، وما وصل إليه الطب في هذا الصدد، أحببت أن أُمهّد أولاً بالعلة التي أوضحها الشرع لختان الذكور ثم ما أثبته الطب الحديث..

يقوم الإمام ابن القيم رحمه الله: «هذا عدا ما في الختان من الطهارة والنظافة والتزين وتحسين الخلقة وتعديل الشهوة التي إذا أفرطت ألحقت الإنسان بالحيوانات، وإن عدمت بالكلية ألحقته بالجمادات فالختان يَعْدلها، ولهذا تجد الأقلف من الرِّجَال والقلفاء[٢] من النِّسَاء لا يشبع من الجماع. والحكمة التي ذكرناها في الختان تعم الذكر والأنثى وإن كانت في الذكر أبين، والله أعلم»[٣].

قد نرى الآن بعض مَن يقول إن هذا كلام فقهاء، وحديثُ رجلٍ أحادي النظرة.. ولنستمع إلى هذا الرأي:-

جاء في مجلة الراصد عام (٢٠٠٢): «.. الدكتورة نوال سعداوي التي أثارت الجدل طوال العام الماضي حيث نسب إليها أنَّها أساءت إلى دين الإسلام ووصل بها الأمر إلى القضاء، فبعد إنهاء معركة «ختان الإناث» بإعلان شيخ الأزهر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ـ رأيه في أنَّها مسألة يبتها الأطباء جاء دور الذكور، فقد حذر الفيلم عن مخاطر طبية ونفسية على الذكور من جراء ختانهم وهم أطفال. وتساءلت السعداوي: ما الفرق بين الذكر والأنثى؟ ظللت أكتب مطالبة القضاء على ظاهرة ختان الإناث

(١) «ختان الإناث الشرعي».. رؤية طبية.

(٢) الأقلف والقلفاء: من لم يختتن من الرِّجَال أو النِّسَاء.

(٣) «تحفة المودود»، فصل في حكمة الختان وفوائده.

طوال ٤٠ عامًا ولن أكلّ المطالبة بإلغاء ختان الذكور أيضًا على رغم أننا في مؤتمر تضامن المرأة العربية فضلنا أن تكون القضية ثانوية لأن هناك قضايا أخرى مهمة جدًا، إلا أنني سأظل أربط ما بين الختان الجسدي والعملي وعمليات الختان لا علاقة لها بالفقه وأنا أقبل برأي الأطباء.. وعبّرت السعداوي عن اقتناعها بأن ختان الذكور (عادة يهودية) وقالت: حين وعد اليهود بأرض فلسطين بدءوا بختان أطفالهم من الذكور ليكونوا مميزين عن غيرهم من الأجناس ويصبحوا شعب الله المختار؟ وفي مقابل حصولهم على الأرض الموعودة حرصوا على استمرار الظاهرة فالأرض لديهم مقابل الختان!!».

وإن كانت الدكتورة تقبل برأي الأطباء، فلننظر إذن إلى ما قاله الأطباء..

ختان الذكور.. رؤية طبية..[1]

في عام ١٩٩٠ كتب **البروفيسور ويزويل**[2]: «لقد كنت من أشد أعداء الختان، وشاركت في الجهود التي بذلت عام ١٩٧٥ ضد إجرائه، إلا أنه في بداية الثمانينات أظهرت الدراسات الطبية زيادة في نسبة حوادث التهابات المجاري البولية عند الأطفال غير المختونين، وبعد تمحيص دقيق للأبحاث التي نشرت، فقد وصلت إلى نتيجة مخالفة وأصبحت من أنصار جعل الختان أمرًا روتينيًا يجب أن يجري لكل مولود».

---

(١) هذا الجزء منقول بدون تصرف من بحث «الختان بين موازين الطب والشريعة» للعلامة الدكتور/ محمد نزار الدقر.

(٢) البروفيسور ويزويل عن مجلة :-
Amer. Family. Physician.

نعم! لقد عادت الفطرة البشرية لتثبت من جديد أنها الفطرة التي لا تتغير على مدى العصور، وأن دعوة الأنبياء من عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى سيدنا محمد ﷺ ليتحلى المؤمن ويتخلق بخصال الفطرة هي دعوة حق إلى سعادة البشر جميعًا.

الحكم الصحية من ختان الذكور:

أثبتت الدراسات الطبية الحديثة أن أمراضًا عديدة في الجهاز التناسلي بعضها مهلك للإنسان تشاهد بكثرة عند غير المختونين بينما هي نادرة معدومة عند المختونين.

١) **الختان وقاية من الالتهابات الموضعية في القضيب:** فالقلفة التي تحيط برأس القضيب تشكل جوفًا ذو فتحة ضيقة يصعب تنظيفها، إذ تتجمع فيه مفرزات القضيب المختلفة بما فيها ما يفرزه سطح القلفة الداخلي من مادة بيضاء ثخينة تدعى [اللخن Smegma] وبقايا البول والخلايا المتوسفة والتي تساعد على نمو الجراثيم المختلفة مؤدية إلى التهاب الحشفة أو التهاب الحشفة والقلفة الحاد أو المزمن والتي يصبح معها الختان أمرًا علاجيًا لا مفر منه، وقد تؤدي إلى التهاب المجاري البولية عند الأطفال غير المختونين.

وتؤكد دراسة د. شوبن(١) أن ختان الوليد يسهل نظافة الأعضاء الجنسية ويمنع تجمع الجراثيم تحت القلفة في تفرة الطفولة، وأكد د. فرغسون(٢) أن الأطفال غير المختونين هم أكثر عرضة للإصابة بالتهاب

---

(١) Schoen: New England J. of Medicine ١٩٩٠. ٣٢٢

(٢) د. حسان شمس باشا: أسرار الختان تتجلى في الطب والشريعة. ابن النفيس.

الحشفة وتضيق القلفة Phemosis من المختونين.

٢) **الختان يقي الأطفال من الإصابة بالتهاب المجاري البولية:** وجد جنز برغ[١] أن ٩٥٪ من التهابات المجاري البولية عند الأطفال تحدث عند غير المختونين. ويؤكد أن جعل الختان أمرًا روتينيًا يجري لكل مولود في الولايات المتحدة منع حدوث أكثر من ٥٠ ألف حالة من التهاب الحويضة والكلية سنويًا عند الأطفال. وتؤكد مصادر د. محمد علي البار[٢] الخطورة البالغة لالتهاب المجاري البولية عند الأطفال وأنها تؤدي في ٣٥٪ من الحالات إلى تجرثم الدم وقد تؤدي إلى التهاب السحايا والفشل الكلوي.

٣) **الختان والأمراض الجنسية:** أكد البروفيسور وليم بيكوز[٣] الذي عمل في البلاد العربية لأكثر من عشرين عامًا، وفحص أكثر من ٣٠ ألف امرأة، ندرة الأمراض الجنسية عندهم وخاصة العقبول التناسلي والسيلان والكلاميديا والتريكوموناز وسرطان عنق الرحم، ويُرجع ذلك لسببين هامين ندرة الزنا وختان الرجال.

ويرى آريا وزملاؤه[٤] أن للختان دورًا وقائياً هامًا من الإصابة بكثير من الأمراض الجنسية وخاصة العقبول والثآليل التناسلية. كما عدد فنك Fink[٥] أكثر من ٦٠ دراسة علمية أثبتت كلها ازدياد حدوث الأمراض الجنسية عند غير المختونين.

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) د/ محمد علي البار: الختان ـ دار المنار.

(٣) pikers w: med.dijest jour.april ١٩٧٧

(٤) د/ حسان شمس باشا: أسرار الختان تتجلى في الطب والشريعة.

(٥) fink a j.circumcision. mountion view. California.١٩٨٨

وأورد د. ماركس Marks[1] خلاصة ثلاث دراسات تثبت انخفاض نسبة مرض الإيدز عند المختونين، في حين وجد سيمونس وزملاؤه أن احتمال الإصابة بالإيدز بعد التعرض لفيروساته عند غير المختونين هي تسعة أضعاف ما هو عليه عند المختونين.

أليس هذا بالأمر العجيب؟

حتى أولئك الذين يجرؤون على معصية الله يجدون في التزامهم بخصلة من خصال الفطرة إمكانية أن تدفع عنهم ويلات هذا الداء الخبيث، لكن لا ننكر أن الوقاية التامة من الإيدز تكون بالعفة والامتناع عن الزنا.

٤) الختان والوقاية من السرطان:

يقول البرفسور كلو دري[2]: «يمكن القول وبدون مبالغة بأن الختان الذي يجري للذكور في سن مبكرة يخفض كثيرًا من نسبة حدوث سرطان القضيب عندهم، مما يجعل الختان عملية ضرورية لابد منها للوقاية من حدوث الأورام الخبيثة».

وقد أحصى د. أولبرتس[3] [١١٠٣] مرضى مصابين بسرطان القضيب في الولايات المتحدة، لم يكن من بينهم رجل واحد مختون منذ طفولته.

وفي بحث نشره د. هيلبرغ وزملاؤه[4] أكدوا فيه أن سرطان القضيب

---

(١) د/ حسان شمس باشا: أسرار الختان تتجلى في الطب والشريعة.

(٢) Cowdry E.V.٨ Cancer Cells. London.١٩٥٨

(٣) Wollberg. A.L: Circumcision and Penial Cancer Lancet.I١٩٣٢

(٤) Helberg D.et al Penial Cancer. Brit. Med. J ١٩٨٧. ٨

نادر جدًا عند اليهود، وعند المسلمين حيث يجري الختان أيام الطفولة الأولى. وإن أبحاثًا كثيرة جدًا تؤكد أن الختان يقي من السرطان في القضيب.

وتذكر هذه الأبحاث أن التهاب الحشفة وتضيق القلفة هما من أهم مسببات سرطان القضيب، ولما كان الختان يزيل القلفة من أساسها، فإن المختونين لا يمكن أن يحدث عندهم تضيق القلفة، ويندر جدًا حدوث التهاب الحشفة.

وقد ثبت أن مادة اللخن التي تفرزها بطانة القلفة عند غير المختونين والتي تتجمع تحت القلفة لها فعل مسرطن أيضًا.

فقد أثبتت الأبحاث أن هذه المادة تشجع على نمو فيروس الثآليل الإنساني HPV الذي ثبت بشكل قاطع أثره المسرطن.

أما الدكتور رافيتش[١] فيؤكد على دور الختان في الوقاية من أورام البروستات. على الرغم من أنه لا توجد دلالة قاطعة تثبت ذلك، غير أنه في المؤتمر الذي عقد في مدينة دوسلدورف الألمانية عن السرطان والبيئة، أشير إلى العلاقة السلبية بين سرطان البروستات الذي يصيب الرجال وبين الختان، وأن الرجال المختونين أقل تعرضًا للإصابة بهذا السرطان من غير المختونين.

وفي نفس المؤتمر كشف النقاب أيضًا عن أن النساء المتزوجات من رجال مختونين هن أقل تعرضًا للإصابة بسرطان الرحم من النساء المتزوجات من رجال غير مختونين.

---

(١) Ravich A. Cancer Of Prostata Act. Len. Internal Cancer. V٣. ١٩٥٢

من هنا نفهم أن دور الختان لا يقتصر على حماية الرجل «المختون» من الإصابة بالسرطان بل يظهر تأثيره الوقائي عند زوجات المختونين أيضًا.

وهكذا يؤكد د. هاندلي[١] أن الختان عند الرجال يقي نساءهم من الإصابة بسرطان عنق الرحم، وذكر أن الحالة الصحية للقضيب والتهاباته تشكل خطرًا على المرأة يفوق الخطر الذي يتعرض له الرجال نفسه.

وقد وجد الباحثون أدلة على اتهام فيروس الثآليل الإنساني HPV بتسبب سرطان القضيب لدى غير المختونين، وسرطان عنق الرحم عند زوجاتهم إذ أنهن يتعرضن لنفس العامل المسرطن الذي يتعرض له الزوج.

نخلص من ذلك إلى القول بأن عدم إجراء الختان في سن الطفولة المبكرة يؤدي إلى ظهور مجموعة من العوامل، منها وجود اللخن (مفرز باطن القلفة)، وتجمع البول حولها ومن ثم تعطنه وتنامي فيروس الثآليل الإنساني وغيره من العوامل المخرشة والتي تؤدي في النهاية إلى ظهور سرطان القضيب عند الأقلف الذي تجاوز عمره الخمسين وحتى السبعين عامًا.

وبانتقال تلك المخرشات إلى عنق الرحم عند زوجته أمكن أن يؤدي عندها إلى الإصابة بسرطان عنق الرحم أو سرطان الفرج.

وإن عملية التنظيف للقلفة لدى غير المختونين لوقايتهم من السرطان، كما يدعو إلى ذلك بعض أطباء الغرب، هي عملية غير مُجْدية على الإطلاق كما يؤكد البروفسور ويزويل فهو يقول بأنه ليس هناك أي دليل على الإطلاق على أن تنظيف القلفة يمكن أن يفيد في الوقاية من السرطان والإختلاطات الأخرى المرتبطة بعدم إجراء عملية الختان.

---

(١) Handley W.S Prevention Of Cancer Lancet. ١،١،١٩٣٦

ونحن مع الدكتور محمد علي البار ـ نرى أن الطب الحديث يؤيد وبقوة ما ذهب إليه الشافعية من استحباب الختان في اليوم السابع، ولحد أقصى [يوم الأربعين] من ولادة الطفل.

وإن ترك الطفل سنوات حتى يكبر دون أن يختن، يمكن ـ كما رأينا ـ أن يؤدي إلى مضاعفات خطرة هو في غنى عنها.

***

جاء على موقع BBC:

أقرت منظمة الصحة العالمية وخبراء صحة دوليون اعتبار ختان الذكور وسيلة لمقاومة مرض الإيدز.

وقالت المنظمة إنها ستضيف الختان إلى قائمة الوسائل التي تستخدم لمقاومة المرض بعد أن أثبتت أبحاث أجريت في إفريقيا أن الختان بين الرِّجَال يقلل من خطر إصابتهم بفيروس الـ HIV بنسبة ٥٠٪.

وتؤكد هذه النتائج نتائج سابقة لتجارب أجريت في جنوب إفريقيا.

ميدل إيست أون لاين:

السبت، ٥ أغسطس ٢٠٠٦

الختان يقلل انتشار الإيدز

دراسة: إذا تم ختان جميع الذكور على مدار الأعوام العشرة القادمة فإنه سيمكن تجنب إصابة مليوني رجل بالعدوى.

ميدل إيست أون لاين

واشنطن ـ من ماجي فوكس

قال باحثون من منظمة الصحة العالمية إن ختان الذكور بشكل منتظم في جميع أنحاء القارة الإفريقية قد يمنع ملايين الوفيات بفعل مرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز).

وقام الباحثون بتحليل بيانات من تجارب أوضحت أن الرجال الذين تم ختانهم هم أقل عرضة للعدوى بفيروس الإيدز وبناء على إحصاءات أجروها انه إذا تم ختان جميع الرجال على مدار الأعوام العشرة القادمة

فإنه سيمكن تجنب إصابة مليوني رجل بالعدوى ووفاة ٣٠٠ ألف بالمرض.

ويعتقد الباحثون أن الختان يقلل من خطر العدوى لأن القلفة وهي جلدة العضو الذكري التي تقطع عند الختان مغطاة بخلايا يبدو أن الفيروس يستطيع اختراقها بسهولة. ويعيش الفيروس أيضًا في أجواء دافئة ورطبة مثل الموجودة تحت القلفة.

وإذا تم ختان الذكور سوف يتعرض القليل منهم للعدوى وبالتالي لن تنتقل العدوى منهم إلى شريكاتهم.

ويصيب فيروس اتش. اي. في. الذي يؤثر على مناعة الإنسان حوالي ٤٠ مليون شخص وأودى بحياة ٢٥ مليون آخرين. ومعظم الضحايا في دول إفريقيا جنوبي الصحراء الكبرى والسبب الأساسي لانتشاره هو العلاقة الجنسية بين رجل وامرأة.

وأشارت عدة دراسات إلى أن الرجال الذين تم ختانهم يقل لديهم معدل الإصابة بفيروس (اتش. اي. في.) ويتضح هذا بصفة واضحة في بعض أجزاء إفريقيا حيث تقوم بعض الجماعات بختان الذكور بينما لا تفعل ذلك جماعات أخرى.

وفي العام الماضي اكتشف برتران اوفرت من وكالة الأبحاث الوطنية الفرنسية وزملاؤه في منظمة الصحة العالمية أن الذكور الذين تم ختانهم في جنوب إفريقيا يقل بنسبة ٦٥٪ خطر إصابتهم بالعدوى بالفيروس القاتل عن أقرانهم ممن لم يتم ختانهم.

ثم أجرى فريقه آنذاك تحليلا لمعرفة ماذا سيحدث لو تم ختان جميع الرجال في إفريقيا.

وقال الباحثون في الدراسة التي نشرت في العدد الحالي من دورية المكتبة العامة لعلم الطب: «في غرب إفريقيا يشيع ختان الذكور وينخفض انتشار (اتش. اي. في.) بينما في جنوب قارة إفريقيا الصورة معكوسة».

يوضح التحليل أن ختان الذكور يمكن عن طريقه تفادي حوالي ست ملايين حالة عدوى جديدة وإنقاذ حياة ثلاثة ملايين شخص في دول إفريقيا جنوبي الصحراء على مدار الأعوام العشرين القادمة.

وإجمالاً فان مشروع الختان الجماعي للذكور سوف يقلل من العدوى بنسبة ٣٧٪.

وحذرت الدورية في تعليق من أن «ختان الذكور وحده لا يمكن أن يخضع وباء (اتش. اي. في. الإيدز) في إفريقيا للسيطرة. وحتى الرجال الذين تم ختانهم يمكن أن يتعرضوا للعدوى لكن الخطر يصبح أقل كثيرًا».

***

ختان الإناث.. لماذا؟

يقول الشيخ جاد الحق علي جاد الحق رحمه الله: «وهذا التوجيه النبوي إنما هو لضبط ميزان الحس الجنسي عند الفتاة، فأمر بخفض الجزء الذي يعلو مخرج البول، لضبط الاشتهاء، والإبقاء على لذات النِّسَاء واستمتاعهن مع أزواجهن، **ونهَى عن إبادة مصدر هذا الحس واستئصاله،** وبذلك يكون الاعتدال. فلم يَعْدِم المرأة مصدر الاستمتاع والاستجابة ولم يبقها دون خفض فيدفعها إلى الاستهتار، وعدم القدرة على التحكم في نفسها عند الإثارة»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وذلك أن المقصود بختان الرَّجُل تطهيره من النجاسة المحتقنة في القلفة، والمقصود من ختان المرأة تعديل شهوتها، فإنها إذا كانت قلفاء كانت مغتلمة شديدة الشهوة. ولهذا يُقال في المشاتمة (يا ابن القلفاء)، فإن القلفاء تتطلع إلى الرِّجَال أكثر، ولهذا من الفواحش في نساء التتر ونساء الإفرنج ما لا يوجد في نساء المسلمين»[2].

قال الدكتور/ محمد علي البار: «والختان من المسائل التي تبدو هيّنة بسيطة، ولكن في طياته خيرٌ كثير، وفي تركه أذى وشر مستطير، فإنه أدعى لتقليل الغلمة والشبق ودواعي الزنا، وخاصة إذا لم يُقدر للمرأة أن تتزوج أو تأيمت بعد زواج بموتٍ أو طلاق»[3].

إنّ تأملنا في هذه الأقوال لابد أن يدفعنا إلى التسليم بأن الله تعالى ما

---

(١) من فتوى الشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق، عن الختان.

(٢) «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية (١/ ٢٧٤ – ٢٧٥).

(٣) «خلق الإنسان بين الطب والقرآن».. (ص٤٤).

شرّع شيئًا إلا لحكمة، وأنه تعالى أعلم بنا من أنفسنا، وأرفق بنا من الأم بولدها؛ لذا فإن ما قاله الأئمة عن تعديل شهوة المرأة هو خير لها وفيه فلاحها، ولكن لابد لنا من توضيح أمر هام وهو:

«أنّ تعديل شهوة المرأة ليس مقصودًا أساسيًا من الختان»

لقد أوضحنا في الباب الثاني من هذا البحث «حد الختان الشرعي» وهو مقدار الجزء المقطوع في الختان، وهو عند المرأة قلفة البظر، وقبل أن نشرح هذا المبدأ الهام الذي لا يعرفه الكثيرون ـ وهو أن تعديل الشهوة ليس هو المقصد الوحيد من عملية ختان الإناث ـ لابد أن نفهم أهمية ووظيفة البظر عند المرأة.

أهمية «البظر» في العملية الجنسية:

إن دور «البظر» في العملية الجنسية ما هو إلا أنه يؤثر على إمكانية وسرعة الوصول للذروة الجنسية عند المرأة متى بدأت بالفعل في مقدمات الجماع.

ذلك أن الوصول إلى الذروة الجنسية عند المرأة له طريقان:

١ - الذروة المهبلية Vaginal climax:

وهي التي تحدث عند الجماع، وسببها إثارة بقية البظر الممتد داخل جسم المرأة والذي يقع أعلى سقف المهبل.

٢ - الذروة البظرية Clitoral climax:

عن طريق تحريك أصابع اليد أو غيرها على البظر.

ومن المهم بيانه أن نسبة كبيرة من النِّسَاء لا يصلن إلى الذروة الجنسية

المهبلية، وليس لهنّ من سبيل إلى الذروة الجنسية إلا عن طريق الذروة البظرية.

إذن.. ليس للبظر أثر هام في «استدعاء الشهوة»، فطوله أو قصره لا يؤثر على الشهوة من حيث استدعائها من عدمه. لذلك فإنه لا يُرجى من قطعه تقليل الممارسات الجنسية غير المشروعة، فاستدعاء الشهوة في الأصل مسألة هرمونية نفسية سلوكية، ولهذا أهمية في مناقشتنا، ستتضح فيما بعد[١].

والآن لنتذكر سويًا هذا المقطع الذي ذكرناه في الباب الثاني:

جاء في شرح مختصر خليل للخرشيّ: (المتن): «وحكمه ـ أي الختان ـ السنية في الذكور وهو قطع الجلدة الساترة، والاستحباب في النِّسَاء ويسمى الخفاض وهو قطع أدنى جزء الجلدة التي في أعلى الفرج ولا ينهك لخبر أم عطية: «**اخفضي ولا تنهكي فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج**» أي لا تبالغي، وأسرى أي أشرق للونه، وأحظى أي ألذ عند الجماع لأن الجلدة تشتد مع الذكر مع كمالها فتقوي الشهوة، لذلك وإذا لم تكن كذلك فالأمر بالعكس»[٢].

لاحظ أنه ينبه على مراعاة الشهوة وأن حفظها مقصود، وكيف لا يكون اشتهاء الزوج مقصودًا ومن صفة نساء الجنة أنهن عرب، أي متوددات إلى أزواجهن. ثم إنه يصف اشتداد الجلدة، ويريد به انتصاب البظر أثناء الملاعبة والجماع، فإنه من المعلوم أن البظر عضو لذة عند المرأة ينتصب كما ينتصب ذكر الرجل، وهو ـ كما بينا ـ مقابل له تشريحيًا ووظيفيًا

(١) «ختان البنات بين الفقه والطب».. حاتم الحاج؛ بتصرف.
(٢) «مختصر خليل» للخرشيّ (٣/ ٤٩).

وأصلهما في الجنين واحد. ولاحظ أيضًا قوله: «**أدنى جزء من الجلدة**» وذلك مراعاةً لعدم الجور وقطع شيء من البظر..

ثم إن الشارح رحمه الله استشكل كون الشهوة، والتي أشار إليها الرسول ﷺ بقوله: «**أحظى للزوج**» تحصل من اشتداد الجلدة مع كون الختان قطع جزء منها فقال: قوله: «**أدنى جزء**» أي أقل جزء، قوله: «**ولا تنهكي**» بفتح التاء وسكون النون وفتح الهاء قوله: «**مع كمالها**» أي الجلدة أي إذا كانت الجلدة كاملة تشتد وتتقوى ولا يحصل فيها رخو فإن قلت إذا كانت تشتد مع الذكر مع كمالها فالأولى ترك الختان لأجل ازدياد القوة قلت الخفاض أمر تعبدي فيفعل ويتحصل بأدنى شيء[1].

لاحظ قوله: «ويتحصل بأدنى شيء»، فهو يرى أن إبقاء الشهوة واللذة عند الجماع مما يحرص عليه، ولذا فهو ينصح بقطع أدنى شيء. ونحن سنبين ـ بعد قليل ـ أنه لا إشكال بحمد الله وأن الجزء المقطوع لا يؤثر على الشهوة الفطرية، بل قد يحفظها.

***

(١) «مختصر خليل» للخرشيّ (٣/ ٤٩).

الشهــوة..

بقي أن كثيرًا من أجلة علمائنا جعلوا تقليل الشهوة من أهم حكم الختان، ولم يذكروا غيرها. قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «مسألة: في المرأة هل تختن أم لا؟ الجواب: الحمد لله، نعم تختن، وختانها: أن تقطع أعلى الجلدة التي كعرف الديك: قال رسول الله ﷺ للخافضة ـ وهي الخاتنة: «**أشمي ولا تنهكي فإنه أبهى للوجه وأحظى لها عند الزوج**» يعني: لا تبالغي في القطع، وذلك أن المقصود بختان الرجل تطهيرة من النجاسة المحتقنة في القلفة، والمقصود من ختان المرأة تعديل شهوتها، فإنها إذا كانت قلفاء كانت مغتلمة شديدة الشهوة.

ولهذا يقال في الشاتمة: يا ابن القلفاء، فإن القلفاء تتطلع إلى الرجال أكثر، ولهذا من الفواحش في نساء التتر، ونساء الإفرنج، ما لا يوجد في نساء المسلمين، وإذا حصل المبالغة في الختان ضعفت الشهوة، فلا يكمل مقصود الرجل، فإذا قطع من غير مبالغة حصل المقصود باعتدال والله أعلم»[1].

والحق ـ كما بينا ـ أن الختان ليس من أجل تحجيم الشهوة الفطرية، وأن نساء المسلمين إنما عصمهن من الرذيلة وازع التقوى في نفوسهن.

ولقد بينا أن طول البظر[2] ليس له أثر هام في استدعاء الشهوة وإنما يؤثر في إمكانية وسرعة الوصول إلى الذروة متى بدأت مقدمات الجماع. وإن الختان الشرعي ـ الذي أصاب الإمام في تعريفه ـ قد يؤثر على الشهوة من ناحيتين:

---

(١) «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية (١/ ٢٧٤ـ ٢٧٥).

(٢) لم يقل الإمام ابن تيمية رحمه الله هنا بقطع البظر أو شيء منه، بل أصاب في تعريفه الجزء المقطوع.

تأثير الختان على شهوة المرأة:-

١- منع الغلمة المرضية الناتجة عن التهابات القلفة عند حصولها. ومن المهم بيانه أن ذلك ينطبق على الرجل أيضًا فإن هذه الالتهابات التي تصيب الحشفة وما تحتها عند الرجل غير المختون تؤدي إلى إثارة الذكر شديد الحساسية، ومن ثم إلى نوع من الشبق المرضي كما هو الحال في المرأة. فلا فرق إذا في حكمه الختان بين الرجل والمرأة إلا أن يقال إن تجمع البول تحت حشفة الرجل بخلاف المرأة يجعل الختان آكد في حقه.

٢- حفظ الشهوة الفطرية وتحسينها، سيما إذا كانت القلفة متضخمة أو ضيقة.

أما قوله ﷺ: «تقطع أعلى الجلدة التي كعرف الديك» فصواب ودقيق، وهذه قلفة البظر وقطعها من أجل الطهارة أيضًا كما هو الحال في الرجال، وإنما غاب هذا المعنى عن علمائنا لصغر حجمها فلم يتخيلوا أنه يتراكم تحتها إفرازات ضارة، فبحثوا عن حكمه للختان فظن بعضهم أنه لتقليل الشهوة حصرًا. ونص الحديث: «**أنضر للوجه وأحظى للزوج**» يفيد غير ما ذكروا رحمهم الله.

ونورد هنا كلامًا لطبيبة أمريكية وكلامها لا يغني عن دراسات جادة، فإن رأي الخبراء غير المدعوم بالدراسات القوية يعد من الأدلة الضعيفة في مجال البحث العلمي. قالت الطبيبة/ أي بي لوري: «إن عذرة الأنثى بها قلفة أمامية صغيرة مطوية فوقها لحماية نهايتها الحساسة، وأحيانًا ما تكون هذه القلفة معقوفه لأسفل بشدة ـ فبدلاً من أن تكون وقاية فإنها تكون مصدر للتهيج، لأن الإفرازات الطبيعية تحتجز تحتها ـ وكم من امرأة كانت عصبية طوال حياتها بسبب قلفة معقوفة، وهو ما يمكن تصحيحه بعملية

في منتهى البساطة. وأشارت الطبيبة إلى أن العلاج يكون أحيانًا بالتربية ولكن الختان المبكر في سن الطفولة للبنت يكون علاجًا مؤكدًا ـ وقالت إن القلفة المعقوفة ينتج عنها تهيج دائم يعود إلى ممارسات مؤذية للفتاة وقد يفضي إلى ممارسات شاذة وله صلة بالحياة غير السوية لبعض البنات»[1].

إنها شهادة من طبيبة غير مسلمة، من المفترض أنها تتكلم بموضوعية، وبتجرد علمي، إننا نستمع في هذه الأيام إلي تصريحات مدوية، وهجوم عنيف على أي قول يشار فيه إلى تعديل شهوة المرأة، أو حفظها عن طريق الختان، ولم يدرك هؤلاء أن الإسلام لم يقصد تقليل شهوة المرأة أو إبادتها، وإذا تأملنا في قول النبي ﷺ: «**أنضر للوجه، وأحظى للزوج**» لأدركنا ذلك، فأي حظ للزوج في تقليل شهوة المرأة، بل إنّ إصابة المرأة بالبرود الجنسي يسبب الكثير من المتاعب للزوجين، فلا هي حصلت لها اللذة المقصودة من الجماع والتي تؤدي إلى وضاءة أو نضارة الوجه ـ كما جاء في الحديث ـ ولا الزوج حصل له الرضا بكونه كفى زوجته.

إن مراعاة حق المرأة في المتعة لمن العدل الذي أمرت به شريعتنا وحضت عليه. و إن الله قد قال: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**﴾ ففهم ابن عباس رضي الله عنه أن ذلك يشمل كل شيء حتى الزينة فقال رضي الله عنه: «إني أحب أن أتزين للمرأة، كما أحب أن تتزين لي المرأة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**وَلَهُنَّ**

---

(١) النقل من غير تصرف من بحث بعنوان: ختان الإناث على ضوء الدين والطب، مقدم إلى الجمعية الإسلامية السودانية ـ مسابقة البحوث العلمية، إعداد: عماد عمر خلف الله أحمد.
من موقع منظمة آم عطية الأنصارية على الشبكة.
HTTP://WWW.UMATIA.ORG/PRICERESEARCH.HTML

﴿مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وما أحب أن أستنظف [أي أستخلص] جميع حقي عليها؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾»[١].

بل إن الله قد علم المؤمنين من آداب الجماع أن يقدموا لأنفسهم بالملاعبة والتي لها من الفوائد الجنسية والنفسية والعاطفية للمرأة ـ التي انتبهت إليها العلوم الطبية حديثًا ـ ما يجعل الإشارة إلى هذا الأمر ـ الذي ربما يظنه غير ذي أهمية ـ في كتاب الله من إعجازه، وصدق الله القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[٢].

* * *

(١) انظر «تفسير الطبري» (١/ ٦٢٥).

(٢) «ختان الإناث بين الفقه والطب» لحاتم الحاج.

الفوائد الطبية لختان البنات:

للأسف فإنه ـ فيما نعلم ـ لم يتصدى لدراسة فوائد الختان الطبية في البنات ـ دراسة وافيه موافقة للمعايير العلمية ـ أطباء المسلمين، ولا ينتظر أن يقوم بذلك غيرهم!

إن هذا المر ـ وإن قدمت فيه بعض البحوث ـ لهو في حاجة إلى المزيد منها، على أن تكون موثقة وتراعي المعايير العلمية ليتسنى تقديمها لكل مشكك في هذه السنة.

ويتوجه أن يكون من فوائد ختان البنات(١) تقليل الحشفة، ومن ثم تعديل الغمة والشبق اللذين قد ينتجان عن هذه الالتهاب. وتحسين وحفظ الشهوة الفطرية، سيما عند المصابات بتضخم أو ضيق الحشفة. وكذلك تقليل التهابات المجاري البولية والجهاز التناسلي كما وردت بذلك بعض بحوث قدمت إلى المؤتمر الإسلامي عن الشريعة والقضايا الطبية المعاصرة(٢). وتقليل التهابات المجاري البولية والتناسلية إنما هو لقرب الحشفة من مدخليهما، فإذا كانت الجراثيم تتراكم تحتها فطبيعي أن تنتقل منها إلى فتحتي المجاري البولية والتناسلية.

---

(١) كما يمكن أن يستفاد من أقوال الأطباء، والمقارنة بالذكور، والنظر في النواحي التشريحية والوظيفية للقلفة وسائر الأعضاء التناسلية والبولية للمرأة وكذلك بعض البحوث المشار إليها لاحقًا. وكل هذا لا يعفينا من المزيد من الدراسات الجادة لإثبات كل نقول بالبينات العلمية.

(٢) جاء ذلك في بحث قدمه الدكتور/ محمد علي البار إلى المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، نقلاً عن ختان الإناث رؤية طبية، د. ست البنات خالد محمد علي، اختصاصي أمراض النساء والتوليد، جامعة الخرطوم ـ السودان.

وفي ذكر بعض هذه الفوائد يقول الدكتور حامد الغوابي[١]:

- «...تتراكم مفرزات الشفرين الصغيرين عند القلفاء وتتزنخ ويكون لها رائحة كريهة وقد يؤدي إلى إلتهاب المهبل أو الإحليل، وقد رأيت حالات مرضية كثيرة سببها عدم إجراء الختان عند المصابات».

- الختان يقلل الحساسية المفرطة للبظر الذي قد يكون شديد النمو بحيث يبلغ طوله ٣ سنتيمترات عند انتصابه وهذا مزعج جدًا للزوج، وبخاصة عند الجماع.

- ومن فوائد الختان: منعه من ظهور ما يسمى بإنعاظ النساء وهو تضخم البظر بصورة مؤذية يكون معها آلام متكررة في نفس الموضع.

- الختان يمنع ما يسمى «نوبة البظر»، وهو تهيج عند النساء المصابات بالضنى [مرض نسائي].

- الختان يمنع الغلمة الشديدة التي تنتج عن تهيج البظر ويرافقها تخبط بالحركة، وهو صعب المعالجة.

ثم يرد الدكتور الغوابي على من يدَّعي أن ختان البنات يؤدي إلى البرود الجنسي بقوله:

«إن البرود الجنسي له أسباب كثيرة، وإن هذه الإدعاء ليس مبنيًّا على إحصائيات صحيحة بين المختتنات وغير المختتنات، إلا أن يكون الختان فرعونيًّا وهو الذي يُستأصل فيه البظر بكاملة، وهذا بالفعل يؤدي إلى البرود الجنسي لكنه مخالف للختان الذي أمر به نبي الرحمة ﷺ حين قال:

(١) عن مجلة «لواء الإسلام» عدد ٧و١٠ من مقالة بعنوان: «ختان البنات».

«**لا تنهكي**» أي: لا تستأصلي، وهذه وحدها آية تنطق عن نفسها، فلم يكن الطب قد أظهر شيئًا عن هذا العضو الحساس [البظر] ولا التشريح أبان عن الأعصاب التي فيه».

تقول الدكتوره/ ست البنات خالد عن بعض فوائد الختان الطبية[1]:-

- ذهاب الغلمة والشبق عند النساء (وتعني شدة الشهوة والانشغال بها والإفراط فيها).
- منع الروائح الكريهة التي تنتج عن تراكم اللخن (النتن) تحت القلفة.
- انخفاض معدل التهابات المجاري البولية.
- انخفاض نسبة التهابات المجاري التناسلية.

* * *

(١) ختان البنات رؤية طبية..

خاتمة البحث

لاشك أننا حاليًا نتعرض لصدمات ومحن وابتلاءات رهيبة، نسأل الله أن ينجينا منها، إن المسألة فوق كونها حكم فقهي مختلف فيه، وهل هو واجب أو مستحب، ومع إيماننا بشرف وفضل تفصيل هذا الحكم، إلّا أن الأمر يذهب إلى أبعد من ذلك. إنها مسألة عقيدة.. مسألة مبدأ..

إذ كيف تتقبل جموع المسلمين، على ما هم عليه الآن، من ضعف دين وغلبة شهوة وغفلة وقلة نصح، كيف تتقبل هذه الجموع تلك الضربات الموجعة الموجهة إلى صلب وروح الدين، كيف نوفق بين كون فعلٍ من الأفعال مستحب ومطلوب شرعًا ومندوب إلى فعله، وبين خضم هائلٍ وزخم رهيب من التشكيك والطعن والتهويل على فظاعة هذا الفعل، إنها ليست ضربة للختان، بل ضربة موجهة إلى الإسلام، ولو لم يظهر لها أثر عاجل فإن زعزعتها لثقة المسلمين في دينهم وتمهيدها لأن يقبلوا أي نقد له فيما بعد، لأثرٌ لا يخفى.

ثم لابد لنا جميعًا أن ندرك أمرًا غاية في الأهمية..

وهو أن الدفاع عن الإسلام لا يكون أبدًا بالتبرء منه، بتغيير مفاهيمه أو تشويه حقائقه لتتواءم مع مفاهيم ومعطيات غيره، الإسلام ليس عارًا، بل شرفٌ عظيم وافتخار، نسأل الله أن يجعلنا أهلاً له.

إن الدفاع عن الإسلام يكون بتوضيح حقائقه، وشرح مفاهيمه وأوامره، ولئن تجمع المغرضون لتشويه حقٍ أو تغيير ثابت، فسوف يأتي يومٌ يظهر فيه الحق، وتعلو كلمة الله..

ولعل ما طالعناه من هجومٍ على ختان الذكور، ثم ما اتضح من فوائد

طبية عديدة لهذا الختان، لوجه من أوجه إعجاز هذا التشريع ودقته وإحكامه..

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك].

وإني لأتذكر كلمة الشيخ الفاضل/ جاد الحق علي جاد الحق في فتواه الشهيرة عن الختان حين قال:

«وإذا قد استبان مما تقدم أن ختان البنات ـ المسئول عنه ـ من فطرة الإسلام وطريقته، على الوجه الذي بينه رسول الله ﷺ فإنه لا يصح أن يُترك توجيهه وتعليمه إلى قول غيره ولو كان طبيبًا، لأن الطب علم والعلم متطور، تتحرك نظرته ونظرياته دائمًا، ولذلك نجد أن قول الأطباء في هذا الأمر مختلف...» إلى آخر كلامه رحمه الله..

ولعلنا نطالع في المستقبل دراسات علمية جادة موضوعية في الآثار الطبية المترتبة على الختان الشرعي، والفوائد المرجوة منه.

وفي الختام..

لا يسعنا إلا أن نُرجع الفضل لأهله، فإن عملنا في هذا البحث لا يتجاوز «**طريقة العرض وترتيب السرد**»، وإلّا فهو جهد علمائنا وأطبائنا الأجلاء، جزاهم الله عن الإسلام خير الجزاء..

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد ألا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك..

الجمعة ٢٠٠٨/١/٤

فهرس الموضوعات

حقيقة الختان

شرعياً وطبياً

مركز أبحاث ودراسات دار القراءة

8GATES Hassan Ismail

